بنية المقدمة في المعجمات اللفظية التراثية
قراءة تحليلية

دكتور
أحمد محمد علي حسن زايد
مدرس علم اللغة
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية – جامعة عين شمس

خطاب المقدِّمات لبنة من لبنات بناء معرفي عام عُرِفَ في الغرب بمصطلح **Le Paratexte**"، الذي عرَّفه جيرار جينيت **Gérard Genette** بقوله: "كل ما يجعل من النص كتابا يقترح نفسه على قُرَّائه، أو بصفة عامة على جمهوره"(١). أي إن هذا المصطلح يتناول شبكة العناصر الموازية والمحيطة بمتن النص، نحو: العناوين الرئيسة والفرعية، واسم المؤلِّف، والمقدِّمات، والخواتيم، والإهداءات، والهوامش، والحواشي، والفهارس، وبيانات النشر، وكل ما من شأنه أن يقدِّم إشارات وإضاءات حول النص.

وعندما دخل مصطلح "**Le Paratexte**" ميدان التطبيق في اللغة العربية ترجمه الباحثون العرب المُحْدَثون ترجمات سارت في أفلاك متباينة، منها: سياجات النص، وعتبات النص أو العتبات النَّصِّيَّة، والمَابَيْن نَصِّيَّة، ومحيط النص، والمكمِّلات، والمناص، وموازي النص، والنَّصْحَبَة، والنص المحاذي، والنص المحيط، والنص المصاحب، والنص الموازي ... إلخ(٢).

إن البحث في مقدِّمات مبدعي المتون اللغوية، أسلافا كانوا أم أندادا أم أخلافا، على تنوُّع قوالبها، شعرية كانت أم نثرية، له دوافع، منها:

– إثارة الانتباه إلى ما في هذه المقدِّمات من أطروحات وأفكار نظرية يسعى مبدع النص إلى تطبيقها والالتزام بها في متن مؤلَّفه، الذي قد يأتي مكافئا لما سبق وذكره، أو أن يأتي ملمًّا ببعض الجزئيات دون بعض؛ ومن ثم لا يعكس متنُ مؤلَّفه طموحه النظري في مقدِّمة إبداعه اللغوي.

– أن المقدِّمات تمثل زادا معرفيًّا يقدِّمه المبدع إلى المتلقِّي في شكل تعاقد قرائي تواصلي بينهما.

---

(١) عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص 44.

(٢) يُنْظَر في بيان ذلك: عبد الرازق بلال، مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدِّمات النقد العربي القديم، ص 21، وعبد الحق بلعابد، قصد رفع القلق عن المصطلح النقدي، ص 186 وما بعدها.

– أن قراءة المتن غالبا ما تأتي مشروطة بقراءة المقدِّمة التي من وظائفها العمل على تهيئة المتلقِّي نفسيًّا وذهنيًّا للولوج في عوالم النص واستكناه أغواره؛ ومن ثم فالمقدِّمة ضمانة لقراءة سليمة واعية للكتاب.

– أن المقدِّمة هي المرآة الكاشفة عن مرامي المبدع ومقاصده وغاياته من مؤلَّفه، فلا غِنى له عنها؛ إذ لا يحسُن بالمبدع أن يخلِّي كلامه من مقدِّمة تكون بِسَاطًا لما يريد القول فيه، ليوفّي التأليف حقّه؛ "لأن كل كلام لا بدَّ له من فَرْشٍ يفرش قبله؛ ليكون منه بمنزلة الأساس من البُنْيَان"[١]. وسبيل المبدع "إلى إصابة المرمى في هذه المقدِّمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض"[٢].

من منطلق هذه الدوافع تتحدَّد طبيعة هذا البحث الذي يهدف إلى دراسة واحدة من العتبات النصية، والمعروفة باسم "**المقدِّمة**" من خلال قراءة مقدِّمات مجموعة من المعجمات التراثية؛ بغية الوقوف على أهم معالم معماريَّة المقدِّمة المعجمية وأسسها النظرية، واستجلاء ما انطوت عليه من لمحات أو رؤى على مستوى البنية والمضمون.

ولتحقيق الغاية المنشودة من البحث اقتصر الباحث على دراسة مقدِّمات المعجمات اللفظية؛ لذيوع هذا النوع من المعجمات، واستدامة التأليف فيه، وشيوع استعماله، وفي الوقت نفسه حرص الباحث على أن تكون العينة المختارة ممثلة للتراث التأليفي في المعجمات اللفظية، ومن ثم فقد وقع الاختيار على معجمات: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، والتقفية، للبندنيجي (ت 284هـ)، وجمهرة اللغة، لابن دُرَيْد الأزدي (ت 321هـ)، وديوان الأدب، للفارابي (ت 350هـ)، وتهذيب اللغة، للأزهري (ت 370هـ)، وتاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (ت 393هـ)، ومجمل اللغة، ومقاييس اللغة، لابن فارس (ت 395هـ)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سِيدَه الأندلسي (ت 458هـ)، وأساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري (ت 538هـ)، وشمس العلوم

(١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 279/6.
(٢) المصدر السابق، 279/6.

ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري (ت 573هـ)، والتَّكْمِلة والذَّيْل والصِّلَة، والعباب الزاخر واللباب الفاخر، للصغاني (ت 650هـ)، ومختار الصِّحاح، للرازي (ت 660هـ)، ولسان العرب، لابن منظور (ت 711هـ)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي (ت 770هـ)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ت 817هـ)، وتاج العروس من جواهر القاموس، والتَّكْمِلة والذَّيْل والصِّلَة لما فات صاحب القاموس من اللغة، للزَّبيدي (ت 1205هـ).

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث والغاية منه أن ينتظم في محورين، الأول منهما يتناول تعريف المقدمة لغة واصطلاحا، والآخر يميط النِّقاب عن معمارية المقدِّمة المعجميَّة، ثم تأتي خاتمة البحث لترصد أهم النتائج التي وُفِّق الباحث إليها.

المحور الأول- تعريف المقدِّمة:

يكشف الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ كما أوردته المعجمات ودوَّنته النصوص أنه يدل على السَّبْق، والأوَّليَّة، والتقدُّم، وهذا ما نتلمَّسه من السِّياقات اللغويَّة التي ورد فيها؛ إذ دارت في فلك هذا المعنى العام. قال ابن فارس: "القاف والدال والميم أصل صحيح يدلُّ على سَبْقٍ ورَعْفٍ، ثمَّ يُفَرَّعُ منه ما يقاربه"[١]. فيقال: مقدِّمة كلِّ شيء: أوَّله، والمقدِّمة: النَّاصية والجبهة، ومقدِّمة العَسْكَر: مُتَقَدِّمُوه، من قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ، وقد استعير لأوَّل كلِّ شيء فقيل: مقدِّمة الكتاب ومقدِّمة الكلام، ومقدِّمة الجيش: أوَّله، ومقدِّمة الغنم والإبل، ومُقَدَّمَتها: أول ما يُنْتَج منهما ويَلْقَح، ومُقَدَّمُ كلِّ شيء: نقيض مُؤَخَّره[٢].

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (قدم) 65/5. ويُنْظَر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1629/2.

(٢) يُنْظَر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (قدم) 323/6-324، وابن منظور، لسان العرب، (قدم) 468/12-469، والزَّبيدي، تاج العروس، (قدم) 240/33-242.

وثمَّة لغتان في لفظة "**مقدّمة**" فيقال: مقدِّمة، ومقدَّمة، بكسر الدال المشددة وفتحها، وكلا الاستعمالين فصيح؛ فالأول اسم فاعل من الفعل "قَدَّمَ"، بِمَعْنى "تَقَدَّمَ"، أَي من التَّقْدِيم اللَّازِم، والآخر اسم مفعول من الفعل نفسه "قَدَّمَ"، ولكن من التَّقْدِيم الْمُتَعَدِّي، والمعنى: قدَّمها غيرها(١).

أما المقدِّمة في الاستعمال الاصطلاحي فقد ذكرت كتب مصطلحات العلوم والفنون عدَّة استعمالات اصطلاحيَّة للمقدِّمة عند العلماء العرب القدامى، وهذه الاستعمالات قد تباينت حسب كلِّ فن وصَنْعَة.

فالمقدِّمة عند أرباب المنطق تُطْلَق تارة على قضية جعلت جزء قياس أو حُجَّة، وتارة تُطْلَق على ما يتوقف عليه صحة الدليل(٢).

والمقدِّمة عند الأصوليين، على ما ذكره التهانوي (ت نحو 1158هـ)، تارة يُرَاد بها ما يتوقَّف عليه الشيء سواء أكان التوقُّف عقليًّا أم عاديًّا أم جعليًّا، وتارة يُرَاد بها ما يتوقَّف عليه الفعل(٣).

وذكر الجُرْجَانِيُّ (ت 816هـ)، وتابعه السيوطي (ت 911هـ)، والمناوي (ت 1031هـ)، أن المقدِّمة قد تُطْلَقُ على ما يتوقف عليه الأبحاث الآتية(٤)، فإن كانت "العلم برمته تسمَّى مقدِّمة العلم، وإن كانت بقية الباب أو الفصل تسمَّى مقدِّمة الباب أو الفصل"(٥).

---

(١) يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، (قدم) 468/12. كذا يُنْظَر: الدكتور أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، 721/1.

(٢) يُنْظَر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 171، والجرجاني، التعريفات، ص 190، والسيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 78، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 312، والكفوي، الكليات، ص 713، 869، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1629/2، وعبد النَّبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 218/3.

(٣) يُنْظَر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1629/2. كذا يُنْظَر: الكفوي، الكليات، ص 304.

(٤) يُنْظَر: الجرجاني، التعريفات، ص 189-190، والسيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 33، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 312، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1630/2.

(٥) يُنْظَر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1630/2.

وقد عرَّف التفتازاني (ت 792هـ) مصطلح "**مقدِّمة الكتاب**"، وسلك مساره من جاء بعده[١]، بقوله: "طائفة من كلامه [الكتاب] قدِّمت أمام المقصود؛ لارتباط له بها وانتفاع بها فيه، سواء توقَّف عليها أم لا"[٢].

أما مصطلح المقدِّمة في استعمال العرب المُحْدَثِين فله تعريفات عدة[٣]، منها ما سار في فلك العرب القدامى، ومنها ما جاء في ثوب قشيب من حيث الصياغة، وعلى أية حال يستطيع الباحث أن يستفيد من هذه الأطروحات في تعريف المقدمة بأنها نص أو خطاب استهلالي منفصل عن متن الكتاب شكلا مرتبط به ضمنيا، يوظفه المبدع في بسط ما يلقي الضوء على عمله الإبداعي.

المحور الآخر– معماريَّة المقدِّمة المعجميَّة:

من وجهة نظر الباحث يمكن تقسيم معمارية المقدِّمة المعجميَّة إلى ثلاث بنيات، هي: بنية الاستهلال، وبنية الموضوع، وبنية الخاتمة.

البنية الأولى– بنية الاستهلال:

اشتملت هذه البنية على خمسة عناصر رئيسة، هي:

1- **البَسْمَلَة:**

درج العرب قبل الإسلام على بَدْء خطابهم بالبَسْمَلَة؛ فقد رُوِيَ أن قريشا قبل البعثة كانت تكتب "في أول كُتُبِها باسمك اللهم، فكان أول ما كتبها أهل مكة ... ولم تزل الكُتُب تُفْتَتح باسمك اللهم

(١) يُنْظَر على سبيل المثال: الجرجاني، التعريفات، ص 190، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1630/2، وعبد النَّبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 317/3. والتعريف بألفاظ متقاربة عند الكفوي، في الكليات، ص 870.

(٢) التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص 138.

(٣) يُنْظَر على سبيل المثال: الدكتور نجيب صليبا، المعجم الفلسفي، 410/2، ومجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 380، والدكتور محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 818/2، والدكتور أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (قدم) 1786/3، وعبد الرازق بلال، مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدِّمات النقد العربي القديم، ص 37.

حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١]، فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سُنَّة بعده"[٢].

وفي التراث الإسلامي جرى الأدباء والمبدعون وكل من اتخذ من الكتابة أسلوبا في التعبير والتأليف على الابتداء بالبسملة؛ بل إنهم عمدوا إلى كتابتها منفردة في سطر مستقل؛ تبجيلا لاسم الله ﷻ وإعظاما وتوقيرا له[٣]. وقد دفعهم إلى الافتتاح بالبسملة في صدر نتاجهم التأسِّي بالقرآن الكريم، والاقتداء بسنة النبي ﷺ؛ الذي كان يفتتح بالبسملة عهوده ورسائله إلى الملوك والأمراء وغيرهم[٤].

وعلى هذا النهج سار مؤلِّفو المعجمات التراثيَّة، بدءا بالخليل بن أحمد الفراهيدي في العين[٥]، وانتهاء بالزَّبيدي في تاج العروس[٦]، فأتت مؤلَّفاتهم مزدانة بالبَسْمَلَة، مفردة في سطر واحد كتابة ورسما[٧]. وأحيانا تلحق البَسْمَلَةَ الاستعانةُ بالله في بعض المقدِّمات كما في: جمهرة اللغة، وديوان الأدب، ومجمل اللغة، ومقاييس اللغة[٨].

(١) الآية (30) من سورة النمل.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 219/6.

(٣) يُنْظَر: المصدر السابق، 224/6.

(٤) يُنْظَر: أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، 31/1-87.

(٥) يُنْظَر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 47/1.

(٦) يُنْظَر: الزَّبيدي، تاج العروس، 1/1.

(٧) عقد القلقشندي صفحات في كتابه تحدَّث فيها عن كيفية كتابة البَسْمَلَة من حيث قواعدها الإجمالية، وبيان صورها. يُنْظَر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 133/3-142.

(٨) يُنْظَر على الترتيب: ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1، والفارابي، ديوان الأدب، 70/1، وابن فارس، مجمل اللغة 75/1، ومقاييس اللغة، 3/1.

2- الحَمْدَلَة:

الابتداء بالحمدلة له أثر طيب ووقْع حسن في نفوس المتلقِّين في ثقافتنا الإسلامية؛ لأن الابتداء إذا كان "حسنا بديعا، مليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام ... ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله؛ لأن النفوس تتشوَّف للثناء على الله، فهو داعية إلى الاستماع"(١).

وتأسِّيا بكتاب الله تعالى، واستنانا بسنة النَّبي ﷺ في خُطَبِه(٢)، وطلبا للتيمُّن والبركة، درج جلُّ الكُتَّاب والمبدعين في التراث الإسلامي على الإتيان بالحَمْدَلَة بعد البَسْمَلَة؛ من حيث إن البَسْمَلَة آية من فاتحة الكتاب على مذهب الإمام الشافعي (ت 204هـ)، أو فاتحة للسورة – وإن لم تكن منها – في مذهب غيره(٣).

فهذا ابن منظور يذكر علَّة الافتتاح بالحَمْدَلَة في مقدِّمة لسان العرب بقوله: "الحَمْد لله رب العالمين؛ تَبَرُّكًا بفاتحة الكتاب العزيز، واستغراقا لأجناس الحَمْد بهذا الكلام الوجيز، إذ كلُّ مجتهد فِي حَمْده مُقَصِّرٌ عن هذه المُبَالغَة، وَإِن تَعَالَى؛ ولو كان للحَمْد لفظ أبلغ من هذا لحَمِدَ به نفسه تَقَدَّس وَتَعَالَى"(٤).

وعلى الرغم من اتفاق المقدِّمات المعجميَّة – مناط البحث – في ذكر الحَمْدَلَة، فإنها تباينت فيما بينها في مرتبة الذِّكْر على قسمين:

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 437.
(٢) يُنْظَر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 51/1-60.
(٣) يُنْظَر أقوال العلماء في هذه المسألة في: الجصاص، أحكام القرآن، 7/1-13.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، 7/1.

القسم الأول: ذَكَرَ الحَمْدَلَة بعد البَسْمَلَة مباشرة دون فاصل، ويضم مقدِّمات معجمات: العين، ومجمل اللغة، والمحكم، ومختار الصحاح، والتَّكْمِلة للصاغاني، والعُبَاب، والقاموس المحيط، وتاج العروس(١).

القسم الآخر: ذَكَر بين الحَمْدَلَة والبَسْمَلَة فاصلا أو أكثر، وهذا الفاصل قد يكون: اسم المؤلف(٢)، أو الصَّلاة والسَّلام على النَّبي(٣)، أو عنوان الكتاب(٤)، أو عنوان الكتاب واسم المؤلف(٥)، أو الصَّلاة والسَّلام على النَّبي واسم المؤلف(٦).

هذا عن مرتبة ذِكْر الحَمْدَلَة بعد البَسْمَلَة في المقدِّمة المعجمية، وثمة وقفتان أراهما جديرتان بالتسجيل:

الوقفة الأولى: تنوُّع صيغة الحَمْدَلَة بين الجملتين الاسميَّة والفعلية، إذ لاحظ الباحث أن الافتتاحات بالحَمْدَلَة جاءت بالجملة الاسميَّة "**الحمد لله** ..." في خمس عشرة مقدِّمة من مقدِّمات المعجمات مناط الدرس(٧)؛ تأسيًّا واقتداء بالقرآن الكريم في فاتحته وغيرها من آيِهِ(١)؛ لأن الجملة الاسميَّة أنسب؛ لصدورها عن طلاقة القدرة الإلهيَّة.

---

(١) يُنْظَر على الترتيب: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 47/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 29/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 1/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1.

(٢) يُنْظَر: الفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م).

(٣) يُنْظَر: نشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، والزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 71/1.

(٤) يُنْظَر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/1.

(٥) يُنْظَر: الجوهري، الصحاح، 33/1.

(٦) يُنْظَر: ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1.

(٧) يُنْظَر على الترتيب: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 47/1، والفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، ومقاييس اللغة، 3/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، والصغاني، التكملة والذيل

وفي مقدِّمة معجمين من معجمات البحث أتى الافتتاح بالجملة الفعليَّة: "**نَحْمَدُهُ بآلائه**"[٢]، و"**أَحْمَدُ مَنْ قَلَّدَنَا ...**"[٣]؛ للدلالة على التجدُّد والحدوث، وكأنَّ هذا النتاج الإبداعي مِنَّة من مِنَن الله المتجدِّدة، وكأني بأصحابها يأمُلون من خلال هذه الصِّيغة الفعليَّة أن تكون هذه المِنَّة أمرا متجدِّدا على الدوام.

وقد انفرد ابن دُرَيْد من بين أصحاب المعجمات بأن جمع في مقدِّمة جمهرته بين صيغتي الحَمْدَلَة الاسميَّة والفعليَّة، قائلا: "**الحمد لله** الحكِيم بلا رويَّة، الخبير بِلَا استفادة، الأول القديم بلا ابتداء ... **أَحْمَدُه** على آلائه، وهو الموفّق للحَمْدِ الموجب به المزيد"[٤].

وثمة خلاف حول أيِّ الصِّيغتين أبلغ، صيغة الحَمْدَلَة الاسميَّة أم الفعليَّة، فقيل إن الصِّيغة الاسميَّة أبلغ؛ لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار، وقيل صيغة الحَمْدَلَة الفعليَّة أبلغ؛ لأن القائل "**الحمد لله**" حاك لكون الحمد لله، بخلاف القائل "**أحمد الله**" فإنه حامد بنفسه[٥].

الوقفة الأخرى: تنوُّع الحَمْدَلَة كمًّا وكيفا من مبدع لآخر، كلّ حسب رؤيته وفكره ومذهبه وسماته الأسلوبية، فمنهم من اختصر القول في الحَمْدَلَة[٦]، نحو قول الجوهري: "الحمد لله شكرا على

والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 71/1.

(١) وردت "الحمد لله" في ثلاث وعشرين موضعا من القرآن الكريم. يُنْظَر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 217.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 29/1.

(٣) الزَّبيدي، تاج العروس، 1/1.

(٤) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1.

(٥) يُنْظَر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 225/6 بتصرف بسيط.

(٦) لمزيد من الأمثلة يُنْظَر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 47/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، والصغاني، العباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1.

نَوَالِهِ"[١]، وقول الصغاني[٢]: "الحمد لله رب العالمين"، وقد يكتفي المبدع بقول "الحمد لله" كما فعل ابن فارس في مقاييسه[٣].

ومنهم من بَسَطَ القول في الحَمْدَلَة، من نحو[٤] ابن دُرَيْد الذي أورد تحميدا طويلا ذا صبغة فلسفية من علم الكلام، يقول في مقدِّمته: "الحمد لله الْحَكِيم بِلَا رويَّة، الخبير بِلَا استفادة، الأول القديم بلا ابتداء، الباقي الدائم بلا انتهاء، منشئ خلقه على إرادته، ومُجْريهم على مشيئته، بلا استعانة إلى مؤزر، ولا عَوز إلى مؤيد، ولا اختلال إلى مُدبر، ولا تكلفة لغوب، ولا فَتْرَة كلال، ولا تفاوت صنعة، ولا تناقض فطْرَة، ولا إجالة فكرة، بل بالإتقان المحكم، والأمر المبرم؛ حكمة جاوزت نهاية العقول البارعة، وقدرة لطفت عن إدراك الفطن الثاقبة"[٥].

أمَّا الزمخشري في مقدِّمة أساس البلاغة فجاء بتحميد طويل يشي بمذهبه العقدي الاعتزالي، وذاك قوله: "خير منطوق به أمامَ كل كلام، وأفضل مُصَدَّر به كل كتاب، حَمْدُ الله تعالى ومَدْحُه بما تمدَّح به في كتابه الكريم، وقرآنه المجيد: من صفاته المُجْرَاة على اسمه لا على جهة الإيضاح والتفصلة، ولا على سبيل الإبانة والتفرقة، إذ ليس بالمشاركة في اسمه المبارك: ﴿رَّبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ

(١) الجوهري، الصحاح، 33/1.
(٢) الصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1. كذا يُنْظَر: الفيومي، المصباح المنير، ص (م).
(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/1.
(٤) لمزيد من الأمثلة يُنْظَر: الفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 29/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1.
(٥) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1.

تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[١]، وإنما هي تماجيد لذاته المُكَوِّنَة لجميع الذوات، لا استعانَة ثَمَّ بالأسباب، ولا استظهار بالأدوات"[٢].

3- الصَّلاة على النَّبي:

استجابة إلى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣]، مثَّلت الصَّلاة على النَّبي ﷺ أحد عناصر الاستهلال الرئيسة في المقدِّمة المعجميَّة؛ إذ ظهرت في سبع عشرة مقدِّمة[٤]، مقرونة بالحَمْدَلَة، ولا غرو في ذلك؛ لأنَّه إذا "أُتِيَ بالحَمْد في أوَّل كتابٍ، نَاسَبَ أن يُؤْتَى بالصَّلاة على النَّبي ﷺ في أوَّله؛ إثْيانا بِذِكْرِهِ بعد ذِكْرِ الله تعالى"[٥].

وقد ورد ذِكْر الصَّلاة على النَّبي في الشَّريحة المدروسة على ثلاثة أنحاء:

النَّحْو الأول: أن تُذْكَر بعد الحَمْدَلَة مباشرة، وكان هذا النحو هو السَّمْت الغالب على عينة الدراسة؛ إذ ظهر في ثلاث عشرة مقدِّمة[٦].

---

(١) الآية (65) من سورة مريم.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، 15/1.

(٣) الآية (56) من سورة الأحزاب.

(٤) لم تُذْكَر الصَّلاة على النَّبي في مقدِّمتي العين 47/1، والتقفية 36/1.

(٥) يُنْظَر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 227/6.

(٦) يُنْظَر على الترتيب: الفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 29/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 71/1.

النَّحْو الثاني: أن تُذْكَر بعد الحَمْدَلَة بيد أن بينهما فاصلا، هذا الفاصل قد يكون التَّشهُّد على نحو ما جاء في "شمس العلوم" لنشوان الحميري، و"تاج العروس" للزَّبيدي[١]، وقد يكون الفاصل الاستعانة بالله، كما ورد في "مقاييس اللغة" لابن فارس[٢].

النَّحْو الثالث: أن تأتي الصَّلاة مقدَّمة على الحَمْدَلَة، وسار على هذا النَّحْو ابن دُرَيْد في مقدِّمة جمهرته[٣].

والصَّلاة على النَّبي تستلزم من المُبْدِع أن يتبعها عدَّة أمور، أَطْلَقَ عليها القلقشندي (ت 821هـ) في صُبْحِهِ التوابع[٤]، نجملها فيما يأتي:

أ- السَّلام على النَّبي:

بعد الصَّلاة على النَّبي محمَّد ﷺ يسنُّ للمبدع أن يثنيها بالسَّلام على النَّبي، مصداقا لقوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٥]. بيد أن هذا النهج لم ينتهجه غير ثماني مقدِّمات معجميَّة، الأولى لابن دريد[٦]، والسبع الأخريات لعلماء متأخرين، أولهم الصغاني وآخرهم الزَّبيدي[٧].

ب- الدُّعاء لآل النَّبي وصحابته:

---

(١) يُنْظَر: نشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/1.

(٣) يُنْظَر: ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1.

(٤) يُنْظَر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 228/6.

(٥) من الآية (56) من سورة الأحزاب.

(٦) يُنْظَر: ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1.

(٧) يُنْظَر: الصغاني، العباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 11/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1.

جاء الدُّعاء لآل النَّبي بصيغة العطف بعد الصَّلاة على النَّبي ﷺ مباشرة، وقد ورد في ست عشرة مقدِّمة معجميَّة[١]. أما الدُّعاء لصَحْبِهِ فورد كذلك بصيغة العطف بيد أنه كان تابعًا لآل النَّبي، وقد ظهر في مقدِّمة ثمانية معجمات[٢].

والصَّلاة على الآل والصَّحْب بعد الصَّلاة على النَّبي ﷺ عن طريق التبعيَّة جائزة بالإجماع؛ يقول الإمام النووي (ت 676هـ): "واتَّفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعا لهم في الصَّلاة، فيقال: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آل محمَّد، وأصحابه، وأزواجه، وذرِّيته، وأتباعه؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك؛ وقد أُمِرْنَا به في التَّشهُّد، ولم يزلِ السَّلَفُ عليه خارج الصَّلاة أيضا"[٣].

وثمة ملاحظة أختتم بها حديثي هاهنا تتمثل في أنه قد جرت سُنَّة المُبْدِعِين في مقدماتهم الإتيان بصيغة الصَّلاة على النَّبي تابعة لصيغة الحَمْدَلَة، فمن استعمل الصِّيغة الاسميَّة في الحَمْدَلَة استعملها كذلك في الصَّلاة على النَّبي[٤]، ومن استعمل الصِّيغة الفعليَّة في التَّحْمِيد

(١) يُنْظَر على الترتيب: ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1، والفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، ومقاييس اللغة، 3/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1.

(٢) يُنْظَر: الزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، والصغاني، العباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1.

(٣) النووي، الأذكار النووية، ص 100.

(٤) يُنْظَر: ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة 39/1، والفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 71/1.

استعملها أيضًا في الصَّلاة على الرسول[١]. وقد خرجت عن هذا النسق العام أربع مقدِّمات معجميَّة[٢]؛ إذ زاوجت بين الصِّيغتين فأتت بالحَمْدَلة على الصِّيغة الاسميَّة وبالصَّلاة على النَّبي على الصيغة الفعليِّة؛ وقد يكون مرد ذلك الجمع بين الحُسْنَيَيْن، دلالة الجملة الاسميَّة ودلالة الجملة الفعليَّة.

وهاكم نماذج من مقدِّمات معجميَّة تُظْهِر الاحتفاء بالصَّلاة على خاتم النَّبيين والتَّرضي على الصَّحْب والآل، نتلمَّس فيها تنوُّع الأسلوب المعتمد على حُسْنِ الفواصل. ونستهل هذه النماذج بقول الزمخشري: "وأَوْلَى مَا قُفِّيَ به حمدُ الله تعالى الصَّلاة على النَّبي العربيِّ، المُسْتَلِّ من سُلالة عدنان، المفضَّل باللسان، الذي استخزنه الله الفصاحةَ والبيان، وعلى عِتْرَتِهِ وصَحَابَتِهِ مَدَارِهِ العربِ وفُحُولِهَا، وغُرَرِ بَنِي مَعَدٍّ وحُجُولِهَا"[٣].

ثم نثنِّي بقول الفيروزآبادي: " الحَمْدُ لله ... بَاعِثِ النَّبي الهَادِي، مُفْحِمًا بِاللِّسَانِ الضَّادِيِّ كُلَّ مُضَادِي، مُفَخَّمًا لَا تَشِينُهُ الهُجْنَةُ وَاللُّكْنَةُ وَالضَّوَادِي، مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ حَضَرَ النَّوَادِي، وَأَفْصَحِ مَنْ رَكِبَ الخَوَادِي، وَأَبْلَغِ مَنْ حَلَبَ العَوَادِيَ، بَسَقَتْ دَوْحَةُ رِسَالَتِهِ فَظَهَرَتْ عَلَى شَوْكِ الْكَوَادِي، وَاسْتَأْسَدَتْ رِيَاضُ نُبُوَّتِهِ فَعَيَّتْ فِي المَآسِدِ اللُّيُوثَ الْعَوَادِي، صَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ نُجُومِ الدَّآدِي، وَبُدُورِ القَوَادِي، مَا نَاحَ الحَمَامُ الشَّادِي، وَسَاحَ النَّعَامُ القَادِي، وَصَاحَ بِالْأَنْغَامِ الحَادِي، وَرَشَفَتِ الطُّفَاوَةُ رُضَابَ الطَّلِّ مِنْ كِظَامِ الجُلِّ وَالجَادِي"[٤].

ومسك الختام في الصَّلاة والسَّلام على خير الأنام وآله وصحابته قول الزَّبيدي: "... وأَشهد أنَّ سيدنا ومولانا محمدًا السيِّد المُرتضَى، والسَّنَد المُرتَجَى، والرسول المُنتَقَى، والحبِيب المجتَبَى،

(١) يُنْظَر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 29/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1.

(٢) يُنْظَر: الأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، وابن فارس، مقاييس اللغة، 3/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، 15/1.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1.

المصباح المضيء المُزْهِر بمِشكاة السرِّ اللامع المَعْلَمِ العُجَاب، والصُّبح اللامع المُسفِر عن خبايا أسرار ناموس الصِّدق والصَّواب، مُستَقْصَى مَجْمَع أَمثال الحِكَم، بل سِرّ أَلِفْ بَا فِي كلِّ بابٍ وكتَاب، والأساس المُحْكَم بتهذيب مَجْدِه المتلاطِم العُباب، صلى الله عَلَيْهِ وعَلى آلِه وأَصحابه خير صَحْبٍ وَآل، مَطالع العزِّ الأبديِّ من موارد الفخْر والكمال، ومشارِقِ المجدِ والجَلال، مَا أَعرَب المُعرِب عَن كلِّ مُغْرِب، وسَحَب ذيْلَ إعجازِه على كُلِّ مُسْهِب، ونطقَ لسانُ الفصيحِ فِي نِهَايَة جمهرةِ مَجْدِهم الصَّرِيحِ المُرقِص المُطرِب، وسلّم تَسْلِيمًا كثيرا كثيرا"[١].

ومجمل القول إن الصَّلاة على النَّبي مثَّلت – مع البَسْمَلَة والحَمْدَلَة – أثر النزعة الدينية؛ إذ ظهر للعِيَان تأسِّي أصحاب المعجمات في خطابهم بأسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية القوليَّة والفعليَّة.

4- اسم المؤلف:

من خلال قراءة المقدمات المعجمية قراءة متأنيَّة نتلَّمس نهجين يرومان غايتين، في نظر الباحث، يرمي المبدع إلى إصابتهما في استهلال نتاجه، وهما:

– إثبات حقوق الملكية الأدبية والفكرية للمُنْتَج.

– رغبته في أن يُشْتَهَر اسمه ويعلو ذكره كلما شرَّق الكتاب وغرَّب.

هذا، ويمكن تقسيم هذين النهجين إلى:

أ- نهج مباشر، وتمثَّل في ذِكْر اسم المؤلِّف في صدر المقدِّمة، وتجلَّى هذا النهج في أربع عشرة مقدِّمة معجميَّة[٢].

---

(١) الزَّبيدي، تاج العروس، 1/1.

ونلحظ أن هذه الفقرة قد حوت أسماء معجمات مثَّلت مع غيرها المعين الذي نهل منه الزَّبيدي مواد تاجه. وسيأتي الحديث عن ذلك بشيء من التفصيل في قابل صفحات البحث.

(٢) يُنْظَر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 47/1، والبندنيجي، التقفية، 36/1، وابن دُرَيْد، جمهرة اللغة 39/1، والفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 3/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس،

ب- نهج غير مباشر، وتجسَّد فقط في الإحالة والإشارة في ثنايا المقدِّمة إلى عناوين مؤلفات أخرى للمؤلِّف نفسه. وقد مثَّلت مقدمتا معجمي "**المحكم والمحيط الأعظم**"، و"**القاموس المحيط**" هذا النهج خير تمثيل؛ فابن سيده أشار في مقدِّمة مُحْكَمِهِ إلى بعض من عناوين تآليفه، نحو:

– كتاب "**المخصَّص**" الذي كان استجابة لرغبة الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، وفي هذا يقول ابن سيده: "فَأَمرني بالتجرُّد لهذه الإرادة، وكساني بذلك ثوب التنويه والإشادة، وأرَانِي كيف أملك عنان الحقيقة، ومن أي المآتي أسلك متان الطريقة، فأَطَعْتُ وما أَضَعْتُ، وأَجَدْتُ كلَّ ما أَرَدْتُ، فأَعْلَقْتُ وأَفْلَقْتُ، وألَّفْتُ كتابي الملَّخص، الذِي سميته "**المخصَّص**"، وهو على التبويب، في نهاية التهذيب"(١).

– كتاب "**المُلَخَّص فِي العَرُوض**"، الذي أشار إليه في قوله: "ومنه: أَنِّي إذا ذكرتُ "فُعَلِلًا" أَو "فَعَلِلًا" لم أذكر "فُعالِلًا" ولا "فَعَالل"، نحو: عُلَبِطٍ وجَنَدِلٍ؛ وذلك لأن كل "فُعَلِل" مَقْصُور من "فُعالِل"، وكل "فَعَلِل" مَقْصُور من "فَعَالل"؛ لأنه ليس من كلامهم التقاء أَربع متحركات وضعا، إِلَّا بعد توَسُّط الحذف، وقد أبنتُ ذلك في كتابي **المُلَخَّص فِي العَرُوض**"(٢).

– كتاب "**الوافي في علم القوافي**"، وسمَّاه في موضع آخر "**الوافي في أحكام علم القوافي**"(٣)، وذلك في معرض حديثه عن "باب عُيُوب الشِّعر وطوائف قوافيه" من كتاب الغريب المصنف ناقدا قلة بضاعة صاحبه أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) في هذا الفن قائلا: "وَمن قضاياه التي نَصَّها في هذا الكتاب، في "باب عُيُوب الشِّعر وطوائف قوافيه" فإنَّه ما كاد يُوَفَّق منها في

مجمل اللغة، 75/1، ومقاييس اللغة، 3/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 1/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م).

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 36/1. كذا يُنْظَر: 42/1.

(٢) المصدر السابق، 41/1.

(٣) المصدر السابق، 40/1.

قضيَّة، ولا يُسَدَّد فيها إلى طريقة سَوِيَّة، وقد أَبَنْتُ ذلك عليه، في كتابي الموسوم بـ"**الوافي في علم القوافي**"(١).

أما الفيروزآبادي فقد اكتفى في مقدِّمته بالإشارة إلى عنوان مؤلَّف واحد من تآليفه، وهذا يتكشَّف في قوله: "وكنتُ بُرْهَةً من الدهر ألتمسُ كتابا جامعا بسيطا، ومُصَنَّفًا على الفُصَحِ والشَّوارد مُحِيطًا، ولمَّا أَعْيَانِي الطَّلَابُ، شَرَعْتُ في كتابي المَوسُومِ بـ "**اللامِع المُعْلَم العُجَاب الجامع بين المُحْكَم والعُبَاب**""(٢).

ومن ثم نستطيع القول: إن وقوف المتلقي/القارئ على اسم المؤلِّف من خلال هذين النهجين السالف ذكرهما يمكِّنه من استدعاء مخزونه المعرفي عن السمات الأسلوبية والفكرية والعَقَدِيَّة لهذا المؤلِّف أو ذاك، والتي ستلقي بظلالها على إنتاجية النص.

5- فصل الخطاب:

كان من ديدن المبدعين – خطباء كانوا أم كتَّابا – أن يفتتحوا كلامهم في كل أمر ذي شأن بذكر الله والثناء عليه، والصَّلاة والسَّلام على نبيه، ... إلخ، فإذا أرادوا الانتقال والخروج إلى الغرض المقصود فصلوا بين هذين المستويين الكلاميَّين بكلمة أو عبارة تسمَّى **فصل الخطاب**(٣).

ولم يرد تركيب "فصل الخطاب" في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قول الله ﷻ: ﴿وشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ﴾(٤)، وقد اختلف أهل التأويل في المراد به على أقوال، منها: قول "أما بعد" وما كان في معناها(١).

(١) المصدر السابق، 33/1.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1.

(٣) استعمل عبد القادر البغدادي هذا المصطلح بالدلالة نفسها في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، 370/10.

(٤) الآية (20) من سورة ص.

وعلى أية حال فقد أفرزت مادة البحث – في رأي الباحث – ثلاث صور لفصل الخطاب، هي:

أ- (أما بعد/وبعد):

تجسَّدت الصورة الأولى من فصل الخطاب في قول "أما بعد" أو "وبعد"، وهي الصورة التي درج المبدع على أن يأتي بأحدهما كحد فاصل بين كل من البَسْمَلَة والحَمْدَلَة والثناء على الله ... إلخ من جهة والقضية التي يريد طرحها والخوض في غمارها من جهة أخرى.

وهذا المسلك من مبدع النص نتلمس فيه أثر الاقتداء والاهتداء بسنة النبي ﷺ الذي ورد عنه استعمال هذه العبارة – حَسْبَمَا يقتضيه المقام – في خُطَبِه وكُتُبِه، من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري (ت 256هـ): "أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ – أَوْ سَبْيٍ – فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "**أَمَّا بَعْدُ** فَوَالله إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ فِيهِمْ عَمْرُو بن تَغْلِبَ"(٢).

ومن ذلك – أيضا – كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، وفيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَّامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، **أَمَّا بَعْدُ**، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، أَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ"(٣).

ولقد عدَّ علماء البيان "أما بعد" من قبيل الاقتضاب القريب من التخلص؛ فالاقتضاب من جهة انتقال المبدع من الحمدلة وصواحبها إلى كلام آخر من غير رعاية ملائمة بينهما، بيد أن هذا

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 20/49-52، والزمخشري، الكشاف، 5/251-252، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 18/149-153، وأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 7/374-375، والألوسي، روح المعاني، 23/177–178.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، 1/292، حديث رقْم (923).

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، 1/16-18، حديث رقْم (7).

الاقتضاب يشبه التخلص من جهة أن المبدع لم يأت بالكلام الآخر فجأة من غير قصد إلى ارتباط وتعلق بما قبله، بل أتى بهذا اللفظ قاصدا به ربط ما قبله بما بعده(١).

ومثلت هذه الصورة تسعُ مقدمات معجمية، هي: ديوان الأدب، والصحاح، والمحكم والمحيط الأعظم، وشمس العلوم، ولسان العرب، والمصباح المنير، والقاموس المحيط، وتاج العروس، وتكملة الزَّبيدي(٢).

ب- هذا:

الصورة الثانية التي كشف عنها البحث هي استخدام المبدع اسم الإشارة "هذا" موضع "أما بعد/وبعد"، ولعل الذي دفع المبدع إلى ذلك هو التأسي بأسلوب القرآن الكريم الذي لم يستعمل "أما بعد" في الانتقال والخروج إلى الغرض المقصود، بل استعمل اسم الإشارة "هذا"؛ لما فيه من الاختصار(٣).

ومن شواهد هذا الاستعمال في آي الذكر الحكيم قول الله ﷻ: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ

(١) يُنْظَر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 373، والتلخيص في علوم البلاغة، ص 434، والتفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص 738-739، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 245/1-246، 1277/2-1278، وإسماعيل بن غنيم الجوهري، إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد، ص 35-36.

(٢) يُنْظَر: الفارابي، ديوان الأدب، 70/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 29/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 33/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1.

(٣) يُنْظَر: إسماعيل بن غنيم الجوهري، إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد، ص 31-32.

(٤) الآية (49) من سورة ص.

﴾[١]، وذكر ابن الأثير (ت 637هـ) أن لفظ "هذا" في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره ... ثم قال: "وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألطف موقعا من التخلص"[٢].

ولقد مثلت مقدمة معجم أساس البلاغة للزمخشري هذه الصورة من صور فصل الخطاب. يقول الزمخشري بعد البَسْمَلَة والحمد والثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه العدنان والصحب والآل: "**هذا**، ولما أنزل الله تعالى كتابه مختصًّا من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة التي تقطَّعت عليها أعناق العِتَاق السُّبَّقِ، وَوَنَتْ عنها خُطَا الجِيَّاد القُرَّح ..."[٣].

ج- جملة القول:

هي الصورة الأخيرة من صور فصل الخطاب في بنية الاستهلال، وفيها يأتي المبدع بجملة مكونة من (الفعل قال واسم المؤلف)، أو من (الفعل قال مسندا إلى تاء الفاعل ومتبوعا بجملة دعاء).

فمثال الأول ما جاء في مقدمة جمهرة اللغة: "قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد"[٤]، ومثال الآخر قول الأزهري في مقدمة تهذيبه: "قُلْتُ، والتوفيق من الله المجيد للصَّواب"[٥].

إن تآلف عناصر بنية الاستهلال التي رصدها الباحث تشاكل ما عُرِف في الدرس البلاغي بحُسْن الابتداء، وهو أحد مواضع ثلاثة ينبغي لمبدع النص التأنق فيها؛ لأن الابتداء يمثل "لحظة الاستهواء والاستمالة"[٦] للمتلقي؛ فمن خلاله يعمل المبدع على استثارة انتباه المتلقي، وتهيئته

---

(١) الآية (55) من سورة ص.

(٢) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 3/139-140. كذا يُنْظَر: التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص 739.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، 15/1.

(٤) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 39/1.

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، 3/1.

(٦) دكتور محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 139.

لاستقبال ما تنتجه يد المبدع وتسطره، فإن اتسم الابتداء بعذوبة اللفظ وحسن السبك وصحة المعنى توافرت دواعي تقبُّل الكلام والاستجابة له من قِبَل المتلقي؛ "فوعى جميعه، وإلا أعرض عنه ورفضه وإن كان الباقي في غاية الحُسْنِ"(١).

كما أن بنية الاستهلال في معماريَّة المقدِّمة المعجميَّة لخير شاهد وناطق على غلبة الاتجاه الديني على فكر أصحابنا، الذين احتذوا – قدر الطاقة وحسب المقام – أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية القوليَّة والفعليَّة، الذي ظهر جليا في العناصر المؤلفة لهذه البنية الاستهلالية الدينية، وهي: البَسْمَلَة، والحَمْدَلَة، والصَّلاة على النَّبي، واسم المؤلف، وفصل الخطاب.

البنية الثانية– بنية الموضوع:

لبنية الموضوع في معماريَّة المقدِّمة المعجميَّة أهمية بالغة فهي نقطة التواصل والتحاور بين مبدع النص ومتلقيه؛ وفيها يأخذ المبدع بيد القارئ فيزيح له الستَّار عن مكنونات العمل الإبداعي وجواهره، كاشفا هوية نتاجه الإبداعي الذي بصدد طرحه وعرضه؛ حتى يكون القرَّاء على درايةٍ بما يقرءونه، وذلك من خلال الحديث عن مجموعة من العناصر تنسجم فيما بينها لتشكل بوتقة بنية الموضوع، وهاكم حديثا عن كل عنصر:

1- بواعث التأليف:

حرص علماء العربيَّة في مقدِّمات تآليفهم على ذِكْر البواعث والدواعي التي حثَّتهم على الكتابة والتأليف في هذا الفن أو ذاك. والباحث فيما سطره الرواد المعجميون في مقدِّماتهم المعجمية يمكنه أن يميِّز بين نوعين من البواعث المقدَّمة بين يدي المتلقين: البواعث الذاتية، والبواعث الموضوعية.

أمَّا البواعث الذَّاتية فيُرَاد بها كل ما ارتبط بالمؤلف نفسه أو بذات خارجية عنه كانت لها اليد الطُولَى في تأليف الكتاب وتصنيفه.

(١) التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص 734. كذا يُنْظَر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 369، وضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 98/3.

ومن خلال قراءة ما بين أيدينا من مقدِّمات نجد أن هذه الذات الخارجية قد تكون شخصية حقيقية صاحبة جاه وسلطان، أو نفوذ ورياسة، أو علم وأدب.

والأمثلة على هذه الذات الخارجية كثيرة، منها ما ذكره ابن دُرَيْد في مقدِّمة جمهرته أن زهد أهل زمانه وتثاقلهم في طلب العلم منعه من أن ينشر علمه في غير أهله، إلى أن آلت حاله إلى صحبة أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال، فوجد فيه من حبٍّ للعلم وأهله ما دفعه إلى بذل مصون ما أكنَّه وإظهار ما أخفاه فارتجل كتاب الجمهرة، وعن ذلك يقول ابن دُرَيْد: "إِنِّي لمَّا رَأَيْتُ زهد أهل هذا العصر في الأدب، وتثاقلهم عن الطلب، وعداوتهم لما يجهلون، وتضييعهم لما يعلمون ... حبوتُ العلم خزنا على معرفتي بِفضل إذاعته، وجللته سترا مَعَ فرط بصيرتي بِمَا فِي إِظْهَاره من حسن الأحدوثة الْبَاقِيَة على الدَّهْر ... حتى تناهت بِي الحال إلى صُحْبَة أبي العبَّاس إسماعيل بن عبد الله بن مُحَمَّد بن ميكال، أيده الله بتوفيقه، ... فبذلت له مصون ما أكننت، وأبديت مَسْتُور مَا أخفيت، وسمحت بِمَا كنت بِهِ ضنينا، ومذلت بِمَا كنت عَلَيْهِ شحيحا؛ .... فارتجلت الكتاب المنسوب إلى جمهرة اللغة"(١).

وفي مقدِّمة ديوان الأدب نتلمس أثر الذات الخارجية في تصنيف هذا المعجم، فالفارابي يصرح بأنه ألفه للشيخ أبي الحسن أحمد بن منصور، وكان من رجالات العلم والأدب في عصره، وفي ذلك يقول: "وقد أنشأتُ بتوفيق الله تعالى، وبه الحول والقوة في ذلك، للشيخ أبي الحسن أحمد بن منصور، أيَّده الله، ولأولادهم، أبقاهم الله، كتابا عملت فيه عمل من طبَّ لمن حَبَّ"(٢).

وهذا ابن سيده الأندلسي الذي دوَّن محكمه استجابة لأمر أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري (ت 436هـ) الذي رغب في أن يصنِّف كتابا في اللغة لكن حالت شواغل الحكم والإدارة عما أراد؛ فأمر ابن سيده بتصنيفه، وفي ذلك يقول ابن سيده: "فَلَمَّا رأى – أيده الله – تلك الكتب المصنَّفة في هذه اللغة الرئيسة، الرائقة النفيسة، لم يَرْضَهَا أَسْلَاكًا لِتُومِها، ولا أفلاكا لطوالع

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/39-40.
(٢) الفارابي، ديوان الأدب، 1/72.

نجومها؛ فأزمع التأليف، وأجمع بذاته فيها التصنيف؛ ليُودعها صِوَانا يشاكل قدرهَا، وإيوانا عاديًّا يماثل خطرها"[١]، إلى أن يقول: "ثمَّ إنه عاقه عن التصنيف فيها ما نيط به من علائق السياسة، وأعباء الرياسة، وشغله عن ذلك ما حُبِيَ به من إدارته الممالك، وتأمينه المسالك، وخوضه بقَدَاميس الجيوش المهالك ... فالتمس من يؤهِّل لذلك من لُباب عبيده ... فَأمرنِي بالتجرد لهذه الإرادة ... ثم أَمرني بالتأليف على حروف المعجم، فصنَّفت كتابي الموسوم بالمحكم"[٢].

وقد تكون الذات الخارجية شخصية متخيَّلة فيحدِّثنا المبدع عن أن إنسانا ما سأله أن يؤلِّف في هذا الموضوع، ومثال هذا ما سجله ابن فارس في مقدِّمة مجمله أن سائلا ما سأله أن يصنِّف معجما تتوافر فيه سمات الجمع والاختصار والإيجاز، ويكون سهل التناول، كثير الفوائد؛ فأجابه إلى ما سأل، وهذا قوله: "فإنك لما أعلمتني رغبتك في الأدب، ومحبتك لعرفان كلام العرب، وأنك شاممت الأصول الكبار، فراعك ما أَبْصَرْتَهُ من بُعْد تناولها، وكثرة أبوابها، وتشعُّب سُبُلِهَا، وخَشِيتَ أن يَلْفِتَكَ ذلك عن مرادك، **وسألتني جَمْعَ كتاب في ذلك**، يُذَلِّلُ لك صَعْبُهُ، ويُسَهِّلُ عليك وَعْرُهُ؛ أَنْشَأْتُ كتابي هذا بمُخْتَصَر من الكلام قريب، يقلُّ لفظُهُ، وتَكْثُرُ فوائدُه، ويبلغ بك طرفًا مما أنت مُلْتَمِسُهُ"[٣].

ومن خلال النماذج التي أوردناها سلفا وغيرها[٤] نخلص إلى أن الحديث عن الذات الخارجية كان محور عنصر بواعث التأليف لتصنيف هذا المعجم أو ذاك؛ لذا حرص أرباب المعجمات التراثية على ذكر الباعث الذاتي بصيغة خطاب دالة على الشخص المقصود، كأن يقول: "أيده الله

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 35/1.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 36/1.

(٣) ابن فارس، مجمل اللغة، 75/1. وقد أشار ابن فارس في خاتمة معجمه 944/2 إلى هذا السائل تارة أخرى بقوله: "هذا آخر مجمل اللغة، فاحفظهُ وتَدَبَّرْ ترتيب أبوابه. وأعلم أني تَوَخَّيْتُ فيه الاختصار كما أَرَدْتَ، وآثرتُ الإيجاز كما سَأَلْتَ".

(٤) لمزيد من الأمثلة على الذات الخارجية الحقيقية أو المتخيلة يُنْظَر: الصغاني، العباب الزاخر، 10/1-11، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، 27-28، والزَّبيدي، تاج العروس، 4/1.

بتوفيقه"، و"أيده الله"، و"أبقاهم الله"، و"وَلِيَكَ الله بصُنْعِه، و"جَعَلَكَ مِمَّنْ عَلَتْ في الخير هِمَّتُهُ، وصَحَّت فيه طَوِيَّتُه"، و"أدام الله مدَّتَه، وَحفظ على مُلْكِه طُلاوتَهُ وجِدَّتَه"، و"أنفذ الله في الآفاق عالي أمره"، و"عَضَدَهُ الإسلامُ وأهله بإفاضة البركة على عمره"، ... إلى غير ذلك من الصيغ والعبارات التي تحمل معنى الدعاء لهذه الذات التي دفعت المصنِّف إلى الكتابة والتأليف.

أما البواعث الموضوعية فتتجسَّد في ذكر الأسباب العلمية أو الموضوعية التي تتصل مباشرة بفكرة التصنيف والتأليف أو موضوعه، والمقدِّمات المعجميَّة مناط الدِّراسة قدَّمت لنا نماذج اكتفى أصحابها بذكر البواعث الموضوعية دون البواعث الذاتية، فعلى سبيل المثال[١] يطرح نشوان الحميري في مقدِّمة "شمس العلوم" على المتلقي سببين موضوعيين يتصلان بفكرة العمل، وهما: تصحيح ما وقع من التصحيفات والتحريفات التي أحدثها القرَّاء والكُتَّاب، وفي ذلك يقول: "ورأيتُ تَصْحِيفَ الكُتَّاب والقُرّاء، وتَغْييرَهُم ما عليهِ كلامُ العَرَب منَ البناء"[٢]، أمَّا الداعي الآخر فعدم وقوف المصنِّف على تصنيف أو تأليف خلفه السابقون يحرُسُ الكلمة بالنقط والشكل، وذاك قوله: "ولم يأت أحد منهم بتصنيفٍ يحرُسُ جميع النُّقط والحركات، ويصف كل حرف مما صنَّفه بجميع ما يلْزَمُه من الصفات"[٣].

ومن المعجميين من مزج بين الباعث الذاتي والباعث الموضوعي، من نحو الأزهري الذي ذكر أن ما دفعه إلى تأليف معجمه أمور ثلاث وجدها في نفسه وفي الأعمال السابقة عليه، وهي: الحرص على تقييد ما سمعه من العرب الفصحاء الذين أقام بين ظهرانيهم أيام الأسر، والحرص على أداء النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين، والحرص على تنقية ما اعترى المؤلفات اللغوية من فساد وعوار لم يفطن لها أبناء زمانه من طلاب هذا العلم.

(١) لمزيد من الأمثلة يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، 8/1، والزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 71/1.
(٢) نشوان الحميري، شمس العلوم، 34/1.
(٣) المصدر السابق، 34/1.

وعن هذه الخلال الثلاث يحدثنا الأزهري في مقدمته قائلا: "قد دعاني إلى ما جمعتُ في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها ... خلالٌ ثلاثٌ: منها تقييد نكت حفظتُها ووعيتُها عن أَفْوَاه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سُنَيَّات ... ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم ما لعلهم يحتاجون إليه ... والخلة الثالثة هي التي أَكثر القصد: أَنِّي قرأت كتبا تصدَّى مؤلفوها لتحصيل لغات العَرَب فِيهَا... وَقد أخلَّ بها ما أنا ذاكره من دَخَلها وعَوارها ... وألفيتُ طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لا يعرفون من آفَات الكتب المصحَّفة المدخولة مَا عرفتُه، وَلَا يميزون صحيحها من سقيمها كَمَا ميزتُه"[١].

ومن أصحاب المعجمات من لم يُعِرْ عنصر دواعي التأليف أي اهتمام فلم يأت على ذكره أو الإشارة إليه في ثنايا مقدمته لعمله المجمعي من نحو: البندنيجي، والجوهري، وابن فارس في مقاييسه، والزمخشري، والصغاني في تكملته، والرازي، والفيومي.

2- مقاصد التأليف[٢]:

بين الكتابة والقراءة وشيجة تفاعل وتلازم؛ فالمبدع عندما يسطِّر مادَّة معينة فهدفه الأساس أن يدفع جمهورا من المتلقين إلى قراءة ما أنتجه، ومن ثم يتحقق نوع من التواصل بين طرفي/قطبي العملية التواصلية: الكاتب، والقارئ، فإن لم يجد المُنْتَج الفكري للمبدع من يقرؤه ويتفاعل معه ظل النَّص رهين دفتي الكتاب وفي رحم الغيب.

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، 6/1.

(٢) مصطلح استعمله غير واحد من علمائنا العرب في التراث الإسلامي، منهم العلامة ابن خلدون (ت 808هـ)، فتحت عنوان "في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها" قال: "إن الناس حصروا **مقاصد التأليف** التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدّوها سبعة"، وبعد أن ذكرها مفصلة ضاربا لها المثال للتقريب والتوضيح، قال: "فهذه جماع **المقاصد الّتي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها**. وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادَّة التي يتعيّن سلوكها في نظر العقلاء". ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 731/1، 732.

ولقد أدرك علماؤنا القدامى أهمية ذكر مقاصد التأليف في مقدماتهم المعجمية، وما له من أثر في المتلقي؛ لأن المتلقي – المُطَالِع في تعبير ابن منظور – في العادة "يُطَالَع أول الكتاب؛ ليكشف مِنْهُ ترتيبه وغرض مُصَنِّفه، وَقد لا يتهيأ للمُطَالِع أن يَكْشف آخِره"(١). فالتصريح بالقصد والغرض من التأليف من الوظائف المهمة التي ينهض بها الخطاب المقدماتي؛ وذلك: "لتقديمه تأويلا للنص من طرف الكاتب، وفيه يعلن عن قصده، كأن يقول: هذا ما أريد فعله/قصده في الكتاب"(٢).

وعندما اتَّجه علماؤنا العرب القدامى إلى التأليف اللغوي في ميدان المعجمات ألفينا تنوعا في الغايات ومقاصد التأليف، وهذا التنوع لشاهد على ثراء الفكر اللغوي الذي اتسموا به، إذ كان لكل واحد منهم مقصد يهدف إلى تحقيقه من خلال مصنَّفه؛ ومن ثم فليست المعجمات العربية ذات مقصد واحد يتمثل في جمع الألفاظ اللغوية وبيان معانيها، بل كان لكل معجم منها غاية تخدم جانبا من اللغة من وجهة نظر المؤلِّف.

وبناء على ذلك حرص صاحب كل معجم على تخصيص مساحة مكانية في مقدمته للحديث عن غايته التأليفية، وحتى لا يطول مقامنا في الوقوف أمام مقصد كل مؤلِّف، وقد تكفل بهذا الأمر من تصدَّى لتحقيق المعجم ومن ألَّف في المعاجم عامة، نكتفي بالأمثلة الآتية(٣):

(١) ابن منظور، لسان العرب، 9/1.

(٢) عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص 123.

(٣) يُنْظَر على الترتيب: الفارابي، ديوان الأدب، 72/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، ومقاييس اللغة، 3/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1-16، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 34/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 11/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 7/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (م)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 4/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1.

وأول هذه الأمثلة نسوقه من مقدمة "التقفية" للبندنيجي الذي لم تكن غايته الإحاطة والشمول بألفاظ اللغة، بل أراد الوفاء بما يحتاج إليه أهل المعرفة والأدب في عصره من الألفاظ الجزلة الفصيحة التي لا غنى لأحد عنها؛ لأنها تأتي في القرآن والشعر وغير ذلك من فنون الكلام(١).

أما ابن دُرَيْد فنتملس بغيته من تصنيف الجمهرة في حشد الجمهور المشهور من الألفاظ اللغوية وترك الألفاظ الوحشية المستنكرة، وكان هذا هو مقصده الأساس من التأليف(٢).

وهدف الأزهري إلى أن يضمِّن كتابه الصحيح من اللغة الموثوق به من خلال تنقية اللغة من الألفاظ التي أزالها الجهلاء عن صيغتها، والشوائب التي تسربت إليها على يد السابقين والمعاصرين من اللغويين، ومن أجل تحقيق هذا الغرض توسل الأزهري بثلاثة أسس هي: السماع من العرب الفصحاء، والرواية عن الثقات، والنقل عن خطوط العلماء شريطة موافقته لمعرفته(٣). وثمة مقصد ثان وهو جمع لغات العرب وتوضيح اختلافها حفاظا على لغة القرآن الكريم وفهما له، خاصة أن العرب المتأخرين والمولدين في حاجة ماسة لهذه المعرفة لبيان ما في القرآن الكريم من مشكل وغريب ومجمل وغامض ومتشابه، ومن ثم دفع الشبهات التي روَّج لها أصحاب الأهواء فيظهر تجنيهم على كتاب الله بما ليس من مراده(٤).

---

(١) يُنْظَر: البندنيجي، التقفية، 36/1.

(٢) يُنْظَر: ابن دُريد، جمهرة اللغة، 41/1.

وقد أشار إلى هذا الغرض في نهاية الجمهرة 1339/3 بقوله: "وإنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصد جمهور الكلام واللغة، وإلغاء الوحشي المستنكر، فإن كُنَّا أغفلنا من ذلك شيئا لم ينكر علينا إغفاله؛ لأنَّا أملیناه حفظا، والشذوذ مع الإملاء لا يُدفع".

(٣) يُنْظَر: الأزهري، تهذيب اللغة، 40/1.

(٤) ينظر: المصدر السابق، 3/1-5.

ونأتي إلى ابن سيده الذي أراد من تأليف المحكم تحقيق غايات تختلف عن صاحبيه في مدرسة التقليبات الصوتية الخليل والأزهري؛ إذ قصد ضم المتفرق والمشتت من المواد اللغوية في بطون الكتب والرسائل في وطاب واحد يغني عنها جميعا، مع تصحيح ما ورد فيها من هفوات نحوية[١].

وخلاصة القول فيما سبق إن مقدِّمة المعجم أراد منها المؤلِّف أن تكون بمثابة المرآة الكاشفة عن مراميه ومقاصده وغاياته من مؤلَّفه، وفي الوقت نفسه لا غنى للمتلقي عن معرفة أغراض التأليف الذي هو بصدد مطالعته.

3- عنوان المؤلَّف:

بذل مؤلفو كتب التراث العربي قصارى جهدهم في صناعة العناوين التي وسموا بها مؤلَّفاتهم، وآية هذا عنايتهم بذكر العنوان وشرحه وتوضيح علَّة اختياره في مقدمات كتبهم، يقول حاجي خليفة **(1067هـ)**: "وقد جرت عادة المصنِّفين بأن يذكروا في صدر كل كتاب تراجم تعرب عنه، سموها: الرءوس، وهي ثمانية: الغرض وهو الغاية السابقة في الوهم، المتأخرة في الفعل. والمنفعة؛ ليتشوق الطبع. **والعنوان** الدال بالإجمال على ما يأتي تفصيله، وهو قد يكون بالتسمية، وقد يكون بألفاظ وعبارات"[٢].

وكأنِّي بهؤلاء العلماء الأعلام ليس بخاف عليهم ما يتركه العنوان من أثر في قارئ العمل؛ فللعنوان وظيفة نفسية تتمثَّل في استمالة القُرَّاء وجذبهم لمتابعة تلقُّف عمل المبدع، فضلا عن وظيفة العنوان الدِّلالية التي تعكس طبيعة العمل ومضمونه، فالعنوان في مقدِّمة العمل – على قول أحد الباحثين المحدثين – يشير إلى "أصل هذا الخطاب سواء كان تنبيها أو تحذيرا؛ لذا فالعنوان يبقى أمرًا مطروحا في المقدِّمات المرتبطة بالنص ... فالعنوان نفسه إشارة في الخطاب المقدماتي يطرح العديد من الأسئلة المتعلقة بالمقدمة المعنونة"[٣].

---

(١) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 32/1.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 36/1.

(٣) شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل "دراسات في الرواية العربية"، ص 69.

وإذا أمعنا النظر في مقدِّمات المعجمات التراثية ألفينا مؤلفيها – إلا نادرا – حريصين على ذكر عنوان الكتاب[١]، مدركين دوره في إيجاز موضوع الكتاب والمقصد منه، وبه يُصبح للمؤلَّف وَسْما وعلامة يُعْرَف بها بين جمهور المتلقين.

وقد وصل الأمر ببعض علمائنا من رواد المعجمات أن اعتنوا بشرح العنوان وتعليله في هذه المقدِّمات، فهذا أبو بشر اليمان البندنيجي يعلل عنوان كتابه التقفية؛ "لأنه مُؤَلَّفٌ على القوافي"[٢]. على حين يعلل ابن دريد عنوان جمهرته بقوله: "وإنَّما أعرناه هذا الاسم؛ لأَنَّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر"[٣].

ويقول الأزهري شارحا علَّة اختياره "تهذيب اللغة" عنوانا لمؤلَّفه: "وقد سمَّيت كتابي هذا "تهذيب اللغة"؛ لأنِّي قصدت بما جمعتُ فيه نفْيَ ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيَّرها الغُثْم عن سننها، فهذبت ما جمعت فِي كتابي من التَّصْحِيف والخَطأ بِقدر علمي، وَلم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أَصله؛ والغريب الذي لم يسنده الثِّقَات إلى العرب"[٤].

(١) يُنْظَر: البندنيجي، التقفية، 36/1، وابن دُرَيْد، جمهرة اللغة 40/1، والأزهري، تهذيب اللغة، 54/1، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، ومقاييس اللغة، 3/1، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 36/1، 48، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 35/1، والصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1، والعباب الزاخر، 9/1، والرازي، مختار الصحاح، 5/1، وابن منظور، لسان العرب، 8/1، والفيومي، المصباح المنير، ص (ن)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 26/1، والزَّبيدي، تاج العروس، 11/1، والتكملة والذيل والصلة، 71/1-72.

(٢) البندنيجي، التقفية، 36/1.

(٣) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 41/1.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، 54/1.

وفي مقدمة "مجمل اللغة" يصرِّح ابن فارس بهذه التسمية معللا لها بقوله: "وسميتهُ مجمل اللغة؛ لأني أجملتُ الكلام فيه إجمالاً، ولم أكثره بالشواهد، والتصاريف، إرادة الإيجاز"(١). أما الفيروزآبادي فيعلل تسمية معجمه بقوله: "وأسميْتُهُ "القاموس المحيط"؛ لأنه البحر الأعظم"(٢).

ومجمل القول في هذا المكون إن الرواد المعجميين حرصوا على كشف كنه عنوان مؤلفاتهم في خطاب مقدماتهم؛ ليكون المتلقي على وعي بما يقرأ؛ ولذا كان التنافس بينهم دافعا وراء الكشف عن العلة التي دفعتهم لاختيار هذا العنوان دون غيره.

وثمة ملاحظة أخرى تتسق وذكر العنوان في المقدِّمة المعجميَّة حيث قد يطرأ أحيانا اختلاف على صيغة العنوان المذكور في المقدِّمة عن صيغته المثبتة على غلاف المعجم، وهذا الاختلاف قد يكون بالزيادة مثل كتاب البندنيجي إذ نجد العنوان المثبت على الغلاف هو "**التقفية في اللغة**"، وهذه الزيادة "**في اللغة**" لم يصرح بها البندنيجي نفسه في مقدمته التي قال فيها: "هذا كتاب **التقفية** إملاء أبي بشر"(٣).

ومثال آخر الكتاب الموسوم بـ "**التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**" كما ورد في صفحة العنوان وجدنا صاحبه الصغاني يذكره في مقدمة كتابه بقوله: "هذا كتاب جمعت فيه ما أهمله أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري رحمه الله في كتابه، وذيلت عليه، وسميته كتاب "**التكملة والذيل والصلة**""(٤).

وقد يكون الاختلاف بالاختزال، مثل "**جمهرة اللغة**" الذي سمَّاه صاحبه في مقدمته: "هذا كتاب **جمهرة الكلَام واللغة**"(٥). ومثل "**مقاييس اللغة**" لابن فارس الذي ذكره في مقدمته بقوله: "هذا كتاب

(١) ابن فارس، مجمل اللغة، 75/1.
(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 26/1.
(٣) البندنيجي، التقفية، 36/1. ولعل هذه الزيادة من صنع محقق الكتاب.
(٤) الصغاني، التكملة والذيل والصلة، 3/1.
(٥) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 41/1.

المقاييس في اللغة"[١]. ومثل كتاب "**شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم**" لنشوان الحميري الذي ذكره في مقدمته فقال: "وسَمَّيتُه كتاب: "**شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، صحيح التأليف والأمان من التصحيف**"[٢].

كما تدل عناوين المعجمات العربية المؤلَّفة ما بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين على سيطرة هاجس الإحاطة والشمول على أصحابها، الذين خُيِّلَ لهم أنهم قادرون على الإحاطة بمفردات العربية؛ لذا وجدنا عناوينهم تعكس هذا الهاجس من خلال اختيار اسم من أسماء البحر أو صفة من صفاته؛ فعنَّون ابن سيده معجمه بـ "المحكم والمحيط الأعظم"، وأطلق الصغاني على مؤلفه "العباب الزاخر واللباب الفاخر"، وفي القرن التاسع الهجري ألفينا الفيروزآبادي يسمي معجمه "القاموس المحيط"، وعن صنيع الفيروزآبادي يقول الزبيدي: "قال شيخنا: وإنما سمَّى كتابه هذا بالقاموس المحيط على عادته في إبداع أسامي مُؤَلَّفاته، لإحاطته بلغة العرب، كإحاطة البحر للرّبْع المعمور"[٣].

وبعد، فإن من يستقرئ عنوانات المعجمات في ضوء السياقات الواردة في مقدِّماتها ليدرك أن اختيار اسم هذا المعجم أو ذاك لم يكن خبط عشواء أو اعتباطيا، بل هو اختيار مبني على رؤية واضحة وهدف محدد ومنهجية واعية.

فإذا كانت هذه المنهجية الإحاطة والاستقصاء ألفينا عنوانات تعكس هذه المنهجية من نحو: "المحكم والمحيط الأعظم"، و"العباب الزاخر واللباب الفاخر"، و"لسان العرب"، و"القاموس المحيط".

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/1.

(٢) نشوان الحميري، شمس العلوم، 35/1.

قلت: أورد الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار هذا العنوان بصيغة أخرى، هي: "شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم، وصحيح التأليف، ومعجم التصنيف، والأمان من التصحيف". ينظر: الصحاح، الجزء الأول، ص (ت).

(٣) الزَّبيدي، تاج العروس، 73/1.

وإن كانت هذه المنهجية انتقائية ألفينا عنوانات مثل: "جمهرة اللغة"، و"تهذيب اللغة"، و"مجمل اللغة"، و"تاج اللغة وصحاح العربية". وإذا كانت المنهجية استدراكية ألفينا عنوانات مثل: "التكملة والذيل والصلة" للصغاني، و"التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة" للزَّبيدي.

4- مصادر التأليف:

من سمات المؤلفات العلمية الإشارة إلى المصادر التي اعتمدت عليها ونهلت منها؛ لذا فقد حرص مؤلفو المعجمات التراثية على التصريح في خطاب مقدِّماتهم بالمصادر التي استندوا إليها في نسج تآليفهم، وهم بذلك النهج يرمون إلى تحقيق مقاصد، أبرزها:

– الأمانة العلمية في نسبة الأقوال والآراء والنصوص إلى أصحابها؛ ومن ثم حفظ حقوق الملكية الفكرية لهم، والاعتراف ضمنيا بسبقهم في هذا الميدان التأليفي وتقديم الامتنان لهم، وفي الوقت نفسه يدفع المبدع عن نفسه تهمة الأخذ عن غيره، يقول الإمام سفيان الثوري (ت 161هـ): "إن نسبة الفائدة إلى مفيدها من الصدق في العلم وشكره، وأن السكوت عن ذلك من الكذب في العلم وكفره"[١]. ويقول الإمام النووي في السياق نفسه: "ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوْهَم ذلك فيما يأخذه من كلام غيره أنه له، فهو جدير أن لا يُنْتَفع بعلمه، ولا يُبَارَك له في حاله، ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها"[٢].

– التهيئة النفسية للقارئ لتقبُّل النتاج الفكري للمبدع الذي اطلع على أهم المصادر التي أُلِّفت في هذا الفن، فيشعر القارئ أنه أمام مؤلف متمرس يقدِّم له خلاصة قراءاته ومطالعاته.

– وقوف القارئ أمام هذا الكم من العلماء وآثارهم المذكورة في المقدِّمة من شأنه أن يرفع من قدر هذا الكتاب، ومن ثم من قَدْر صاحبه، أي إن ثمة ارتباطا غير مباشر بين الحديث عن مصادر التأليف وتقريظ الكتاب.

---

(١) الحطاب، مواهب الجليل، ص 4.

(٢) النووي، بستان العارفين، ص 47–48.

ومن أوائل المعجميين الذين تحدَّثوا عن مصادرهم في مقدماتهم أبو منصور الأزهري، فتحت عنوان "**باب ذكر الأئمة الذين اعتمادي عليهم فيما جمعت فِي هذا الكتاب**" يبيِّن الأزهري الأئمة والأعلام الذين اعتمد عليهم، ذاكرا ما خلفوه من الآثار والمؤلفات اللغوية التي انتهى علمه إليها، ومصنفا إياهم في خمس طبقات[١]. والدافع وراء عقد هذا الباب أوضحه الأزهري في قوله: "وإذ فرغنا من ذكر الأثبات المتقنين، والثقات المبرّزين من اللغويين، وتسميتهم طبقة طبقة؛ إعلاما لمن غَبِيَ عليه مكانُهم من المعرفة؛ كي يعتمدوهم فيما يجدون لهم من المؤلفات المرويَّة عنهم"[٢].

والعلة التي ذكرها الأزهري نستشعر نفحة هبوبها على مقدِّمة عُبَاب الصغاني، الذي قال: "وأقدم قبل الشروع في بيان اللغة فصلين: الفصل الأول في معرفة أسامي جماعة من أهل اللغة لا غِنى لمُمَارس هذا الكتاب وسائر كتب اللغة عن معرفتها؛ فإن أهل اللغة ذكروا بعضهم بكُنَاهم، وبعضهم بنَسَبِهم، وبعضهم بحِرَفِهم. والفصل الثاني في أسامي كتب حوى هذا الكتاب اللغاتِ المذكورة فيها"[٣].

أما ابن فارس فيطرح على قارئه مسوِّغا آخر لاعتماده على العين للخليل، وكتابي الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت (ت 244هـ)، وجمهرة اللغة لابن دُرَيْد في تأليف المقاييس؛ وهو أن هذه الكتب الخمسة: "تحوي أكثر اللغة ... وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إليها"[٤].

ومن المؤلفين من فصَّل القول في ذكر المؤلفات التي استند عليها في جمع مادته، فالزَّبيدي في مقدِّمة التاج يحدِّثنا عن عناوين كتبه التي رافقته في رحلة التأليف بقوله: "مستمدًّا ذلك من الكتب التي يَسَّر الله تعالى بفضله وقوفي عليها، وحصل الاستمدادُ عليه منها، ونقلْتُ بالمُبَاشرة لا

(١) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 1/8-28.
(٢) المصدر السابق، 1/28.
(٣) الصغاني، العباب الزاخر، 1/2.
(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/3، 5.

بالوسائط عنها، لكن على نقصانٍ فِي بعضها نقصا متفاوتا بالنسبة إلى القلَّة والكثرة ... فأوَّل هذه المصنَّفات وأعلاها عند ذوي البراعة وأغلاها كتابُ الصِّحاح للإمام الحجَّة أبي نصر الجَوْهَرِي"[١]، ثم يذكر نحو مائة وعشرين عنوانا من عناوين كتب التراث مثَّلت أغلب فنون المكتبة العربية من معاجم ورسائل لغوية، وكتب أمثال، وكتب نحوية وصرفية، وكتب أدبية، وكتب في علوم القرآن وقراءاته، وكتب تاريخ وجغرافيا وبلدان، وكتب طبقات وتراجم وأنساب، وكتب حيوان ونبات، وكتب طب وسياسة ونُظُم ... [٢]، ولم تكن هذه المؤلفات فقط معتمد الزَّبيدي في التأليف والتصنيف، بل هناك "غير ذلك من الكتب والأجزاء في الفنون المختلفة، ممَّا يطول على النَّاظر استقصاؤها، ويصعب على العادّ إحصاؤها"[٣].

لكن الزَّبيدي عدل عن هذا التفصيل في منهج ذكر المصادر في مقدِّمة التكملة، فيذكر إجمالا معتمده من كتب اللغة وحواشيها، وكتب غريب الحديث والتفاسير، ودواوين العرب وأشعارها، مكتفيا بحِوَالة القارئ على ما ذكره من مصادر في مقدِّمة التاج، فيقول: "مقتطفا ذلك من عيون كتب اللغة المشاهير، وغرائب مؤلفات الحديث والتفاسير، ونفائس دواوين العرب وأشعارها، وبدائع ما أُلِّفَ في حواشي اللغة وكرائم أسفارها، مع ما استطردت ذكر بعضها في مقدِّمة ذلك الشرح"[٤].

إن إشارة المعجمي أو المؤلِّف بصفة عامة إلى من سبقه في ميدان التأليف تحمل في طياتها معاني الفخر والإعزاز، والشعور بالمسئولية تجاه تراث السابقين، وعلى الرغم من نقل اللاحق عن هذا المصدر أو ذاك فإن ذلك لم يمنعه من الإضافة إليه أو التطوير فيه، وهذه هي الروح العلمية في أسمى صورها.

---

(١) الزَّبيدي، تاج العروس، 5/1.

(٢) يُنْظَر: المصدر السابق، 5/1-9.

(٣) يُنْظَر: المصدر السابق، 9/1.

(٤) الزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 72/1. غير أن الزبيدي قد فصَّل في الخاتمة ما أجمله في المقدِّمة، فذكر أسماء المصادر المعتمد عليها. ينظر: التكملة والذيل والصلة، 481/8-482.

5- نقد المؤلفات السابقة:

من القواسم التي اشترك فيها الخطاب المقدماتي للمعجمات التراثية المدروسة وجود ما يمكن أن نطلق عليه النقد اللغوي المقدماتي، وفيه يقدِّم المبدع آراءه النقدية في الأعمال ذات الصلة بموضوع عمله. وهذا النقد المقدماتي اتخذ اتجاهين:

الاتجاه الأول: وفيه ينقد المؤلف الأعمال التي سبقته في ميدان التأليف اللغوي، مع الاعتراف بفضائلها، والثناء عليها، والإقرار بسبقها وريادتها، غير أن هذا النقد ورد بصورة إجمالية دون سوق مثال أو شاهد.

ومثال ما سبق[١] قول الفارابي في مقدِّمة ديوان الأدب مشيرا إلى تراث السابقين عليه، معترفا بفضلهم، مصنِّفا جهودهم، واصفا ومقيِّمًا لها، في قوله: "وقد ألَّف السَّلَف – رحمهم الله – في جَمْع هذا اللسان كتبا كثيرة، تفاضلوا فيها، وقيَّدوا منه فيها ما قيَّدوا، من مُوجِزٍ، وغير مُوجِزٍ، ومُعْتَدِل بين المذهبين، مِنْ غير أن يأتُوا عليه. ومُحْسِنٍ ما ألَّف فَعَمَّ بنفعه، ومُشِيرٍ فيما صنَّفَ فَخَصَّ به الطَّبقة العُلْيَا، ومُقَصِّرٍ فيما جَمَعَ، فلم يَعْدُ بذلك أَنْ عادَّهم في مذهبهم"[٢].

ومثالنا الآخر نسوقه من مقدِّمة الجمهرة لابن دُرَيْد الذي اعترف بالفضل لأُولي السبق من العلماء، نافيا عن نفسه الطعن عليهم أو التقليل من شأوهم والانتقاص من قَدْرهم؛ "وأَنَّى يكون ذلك؟! وإنَّما على مثالهم نحتذي، وبسُبُلهم نقتدي، وعلى ما أصَّلُوا نَبْتَنِي"[٣]. ثم خصَّ من هؤلاء العلماء أبا عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي صنَّف "كتاب العين، فأتعب من تصدَّى لغايته، وعنَّى مَنْ سَمَا إلى نهايته، فالمُنْصِف له بالغَلَب مُعْتَرِف، والمُعَانِد متكلِّف، وكلُّ مَنْ بعدَه

(١) لمزيد من الأمثلة يُنْظَر: ابن فارس، مجمل اللغة، 75/1، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 34/1، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 26/1.

(٢) الفارابي، ديوان الأدب، 72/1.

(٣) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة، 40/1.

لَهُ تَبَعٌ أَقَرَّ بذلك أم جَحَد"[١]. غير أن ابن دُرَيْد نقد طريقة التقليبات الصوتية التي انتهجها الخليل نقدا رقراقا من خلال الحديث عن مزايا طريقة الترتيب الهجائي لتقليبات المواد اللغوية، التي هي "بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامَّة بها كعِلْم الخاصَّة، وطالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة مشفيا على المُرَاد"[٢].

ويلحق بهذا الركب النقدي الإجمالي ابن منظور الذي ذكر في مقدِّمته أنه اعتمد على خمسة من أمَّهات كتب اللغة، خص أربعة منها بالنقد، وهي: تهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والنهاية لابن الأثير. أما التهذيب والمحكم فقد وصف الأول بالجمال، ونعت الآخر بالكمال، وهما من أمهات كتب اللُّغَة على التَّحْقِيق، وغيرهما ثنيَّات للطريق، ورغم ذلك عزف الناس عنهما، وأهملوا أمرهما "وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تَخْلُو منهما. وَلَيْسَ لذَلِك سَبَب إِلَّا سوء التَّرْتِيب، وتخليط التَّفْصِيل والتبويب"[٣]. وأما صحاح الجوهري فرغم حُسْن ترتيبه وذيوعه بين المتلقين إلا أنه "قد صَحَّف وحرَّف، وجَزَفَ فيما صَرَّفَ"[٤]. أما صاحب النهاية فقد "جاوز في الجودة حد الغاية، غير أنه لم يضع الكلمات في محلها، ولا راعى زائد حروفها من أصلها، فوضعتُ كُلًّا منها في مكانه، وأظهرته مع برهانه"[٥].

الاتجاه الثاني: وفيه يبذل المؤلِّف قصارى جهده في الكشف عن النقص الذي لحق الأعمال السابقة، متتبِّعًا بعضا من زلَّات أصحابها وهفواتهم، ضاربا الأمثلة المؤيِّدة لرأيه.

وقد اتسم أصحاب هذا الاتجاه بنقدهم اللاذع الصريح، ورائد هذا السبيل بلا منازع أبو منصور الأزهري الذي شرع في توجيه سهامه النقدية إلى بعض علماء العربية السابقين، وهم: الليث بن

(١) المصدر السابق، 40/1.
(٢) المصدر السابق ، 40/1.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، 7/1.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، 7/1-8.
(٥) المصدر السابق، 8/1.

المظفر، وقطرب، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن دريد، والخارْزَنْجيّ، وأبو الأزهر البخاري. وقد ارتكن الأزهري في نقدهم على أنهم "ألَّفوا كتبا أودعوها الصحِيح والسقيم، وحشَوْها بالمزال المُفْسَد، والمصَّحف المغيّر، الذي لا يتميَّز ما يصحّ منه إلَّا عند النِّقاب المبرِّز، والعالم الفَطِن؛ لنحذِّر الأغمار اعتمادَ ما دوَّنوا، والاستنامة إلى مَا ألَّفوا"(١).

ولنقتطف شيئا يسيرا من هذه السهام النقدية التي وجهها الأزهري لهؤلاء الأعلام(٢)، **فالليث** في رأيه: "نَحَلَ الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفِّقه باسمه، ويرغِّب فيه مَنْ حوله"(٣)، أما **قُطْرُب** فكان "متَّهما في رأيه وروايته عن العرب"(٤)، وعن **ابن قُتَيْبَة** قال: "فإنَّه ربَّما زلَّ فيما لا يخفى على مَنْ له أدنى معرفة. وألفيته يَحدِس بالظَّنِّ فيما لا يعرفه ولا يُحْسِنهُ"(٥)، وكان **ابن دُرَيْد** عند الأزهري ممن وُسِمَ "بافتعال العربيَّة وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب فِي كلامهم"(٦)، وعن **الخَارْزَنْجي، وأبي الأزهر البخاري** قال: "وَمِمَّنْ ألَّف وجمع من الخراسانيين في عصرنا هذا فصحَّف وغيَّر وأزالَ العربيَّة عن وجوهها رجلان: أحدهما يُسمَّى أحمد بن محمد البُشْتي، ويُعْرَف بالخارْزَنْجيّ، والآخر يُكَنَّى أبا الأزْهَر البخاري"(٧).

وقد انتقلت هذه العدوى النقدية التي انتهجها الأزهري إلى صاحبه في المدرسة الخليلية ابن سيده الذي سرد ملاحظاته النقدية(٨) على كتب السابقين عليه في ميدان التأليف اللغوي متتبعا بعض هفواتهم وزلاتهم بأسلوب الأزهري اللاذع وعباراته الهجومية، وأكتفي بمثال واحد للتدليل على هذه

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، 28/1.
(٢) يُنْظَر الانتقادات كاملة في: الأزهري، تهذيب اللغة، 28/1-40.
(٣) المصدر السابق، 28/1.
(٤) المصدر السابق، 30/1.
(٥) المصدر السابق، 31/1.
(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، 31/1.
(٧) المصدر السابق، 32/1.
(٨) يُنْظَر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 32/1-35، 38-41.

النرجسة النقدية، وهو قوله: "وأمَّا ما في كتاب "الإصلاح" و"الألفاظ"، وكُتُب ابن الأعرابي، وأبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي وغيرهم، من أمثال هذا الَّذي وَصَفْتُ، فأكثر مِنْ أَن يُحْصَى مَدَدُه، أو يُحْصَر عَدَدُه، وهل يقوم بانتقاد هذا النَّوْع إلَّا مثلي، من ذَوي الحفظ الجليل، والاضطلاع بعلم النحو وصناعة التحليل، وإن كُنْتَ بين حثالةٍ جَهِلْتَ فضلي، وأساء الدَّهْر فِي جَمْعهم بمثلي" (١).

وعلى الرغم من اتباع الصغاني هذا السبيل النقدي في تتبع سقطات مَنْ سبقه من اللغويين وهفواتهم في مقدِّمة العباب(٢)، إلا أن عباراته النقديَّة كانت أخف وطأة من صاحبيه الأزهري وابن سيده، بل وجدناه يلتمس مسوغا لزلات هؤلاء العلماء أنها من أخطاء النُّسَّاخ، فيقول: "ولم أذكر ما ذكرتُ – ممَّا وقع فيه من السهو، وانْحَرَفَ عن سَنَنِ الصَّواب ونَهْج السَّداد والعياذ بالله تعالى – إزراء بهم، أو غضًّا منهم، أو تنديدا بالهَفَوَات، أو وَضْعًا من رَفِيعَات أقدارهم بالسَّقَطَات، وكيف وما استفدتُ إلَّا من تصانيفهم، ولا انتفعتُ إلَّا بتآليفهم، وما اهتديتُ إلَّا بأنوارهم، ولا اقتفيتُ إلَّا لَوَاحِبَ آثارهم، وما حملتُ ذلك إلَّا على الغلط من الناسخين لا من الراسخين، وأنهم لفرط اهتمامهم بالإفادة لم يتفرغوا للمُعَاوَدَة والمراجعة، فَهُم القُدْوَة وبِهِم الأُسْوَة، رحمنا الله تعالى وإياهم، فجزاهم عن جدِّهم وجَهْدِهم خيرا"(٣).

وهذان الاتجاهان النقديان في الخطاب المقدماتي يهدفان إلى غاية قصدها المؤلف، وهي أنه أراد أن يقول للقارئ بلسان واثق إن عملي الذي أقدِّمه إليك يتمايز عمَّا سبقه من أعمال، فقد جاء ليسد رتقها، ويصلح خللها، ويصحح خطأها وزللها، ويتجاوز هفواتها وسقطاتها، ويتدارك ما لحق بها من إهمال أو تفريط، وهذا هو الجديد الذي تكفَّل به عملي.

بل وجدنا من المعجميين مَنْ يسعى إلى مصادرة الانتقادات التي قد توجَّه مُسْتَقْبَلا إلى عمله، وذلك من خلال:

(١) المصدر السابق، 39/1.

(٢) يُنْظَر الانتقادات كاملة في: الصغاني، العباب الزاخر، 12/1–19.

(٣) الصغاني، العباب الزاخر، 19/1.

أ- تقديم الاعتذار المسبق إلى جمهور القراء والمتلقين – على اختلاف شرائحهم وقرائحهم – إن هاجموا عمله أو انتقصوا قدره؛ لأن عمله عمل بشري يعتريه الصواب والخطأ، من ذلك قول نشوان: "وما أُبَرِّئ نفسي من الخطأ والزَّلل، ولا أعْتَلُّ لخَطئي بسَقيمِ العِلَل؛ لأنَّه لا يَسلَمُ من الجَهْلِ والخَطأ أحدٌ منَ البَشَر، وفي هذا بلاغٌ في العُذْرِ لمن اعْتَذَر"(١)، بل إنه يدعو غيره من العلماء إلى تصويب هذه الأخطاء وتصحيح تلك الزلَّات قائلا: "فَمَنْ وقف على كتابِي هذا من العلماء الموثوقِ بعِلْمِهم، ومعْرِفَتهم وفَهْمِهم، ووجدَ فيه كلمةً في غَيْرِ مَوْضِعها فلْيَرُدَّها إلى مكانِها، بنَقْطِها وحرَكَاتِها وأَوْزانِها، ولْيُشارِكْني في ثوابها بتركِها في مَوْضِعها وبابها، أو استَحْسَنَ كلمةً من كلام العربِ لم يجدْها في هذا الكتاب فلْيُلْحِقْها بما يُشاكِلُها منَ الأَبواب، ولْيطلبْ ما عند الله منَ الثَّواب"(٢).

في حين نجد الفيروزآبادي يدعو كلَّ عالم مطَّلعٍ على عمله أن يَسْتُرَ عِثَارِه وَزَلَلِه، وَيَسُدَّ بِسَدَادِ فَضْلِهِ خَلَلِه، وأن "يُصْلِحَ ما طَغَى به القَلَمُ، وَزَاغَ عنه البصرُ، وَقَصَرَ عنه الفهمُ، وَغَفَلَ عنه الخاطرُ؛ فالإنسان مَحَلُّ النِّسْيَانِ، وَإِنَّ أَوَّلَ نَاسٍ أَوَّلُ النَّاسِ"(٣).

وعلى نهجه سار الزَّبيدي في تكملته بدعوة قارئ عمله والمُطَّلِع على مصنفه أن يتقبل عمله على ما فيه من نقص وخلل، وهما من سمات كل عمل بشري، يقول الزَّبيدي في ذلك: "وأنا أتبرَّأ لقارئه من التَّعاطي لما لم أُحِطْ به علما، والإغفال عمَّا لا ينفكُّ عنه البشر سهوا ووَهْما، وأرغب لمن حقَّق فيه خللا أن يُصْلحه، ولمَنْ وجد فيه مُغْفَلا أن يُثْبته ويُفْصحه، أو رأى فيه مُتَأوَّلا أن يُحْسنَ تأويله، أو ألفى فيه مُحْتَمَلًا أن يوضِّح دليله"(٤).

ب- التخلص من الأخطاء والزَّلَّات الموجودة بالكتاب بحِوَالتها إلى أصحابها الذين عنهم أَخَذَ ومن دفاترهم وكتبهم نَقَلَ، فهم بها أولى، ومثال هذا قول الصغاني في عبابه: "ولعلَّ من سمَّاه

(1) نشوان الحميري، شمس العلوم، 42/1.
(2) المصدر السابق، 42/1.
(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 28/1.
(٤) الزَّبيدي، التكملة والذيل والصلة، 72/1.

الناس عالما، ولم يفنِ في العلم يوما كاملا، أو بعض المتحذلقين ومن هو دون القُلَّتين يُطَالِع هذا الكتاب ويطَّلع على بيت منه غير منسوب، وهو في غيره من كتب اللغة كالتهذيب والصحاح والمجمل وغيرها منسوب، أو بيتٍ منسوب إلى غير مَنْ نُسِبَ إليه في هذه الكتب ... فلا يسيء الظن بي، بل غيري في ذلك أولى بأن يُنْسَب إلى التزييف أو يُرْمَى بالتصحيف والتحريف"[١].

وعلى خُطَى الصغاني سار ابن منظور – وتابعه الزَّبيدي في تاجه[٢] – الذي قال: "فَمَنْ وَقَفَ فيه على صوابٍ أَو زَلَلٍ، أو صِحَّة أَو خَلَلٍ، فَعُهْدَتُهُ على المُصَنِّف الأوَّل، وحَمْدُهُ وذَمُّه لأصْلِهِ الذي عليه المُعَوَّل؛ لأنَّني نَقَلْتُ مِنْ كُلِّ أَصْلٍ مَضْمُونَه، ولم أُبَدِّلْ مِنْهُ شَيْئًا، فَيُقَال: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾[٣]"[٤]. وبصنيع العلماء هذا تتحول المقدمة إلى "خطاب دفاعي حجاجي"[٥].

6- منهج التأليف:

يسعى المؤلف من خلال الحديث عن الأسس والمبادئ التي سار عليها في عرض مادته وتفصيل القول في منهجه إلى إرشاد المتلقي وتوجيهه؛ بغية ضمان القراءة الجيدة للعمل التي تشكل الوظيفة المركزية في المقدِّمة الأصلية[٦].

والحديث عن منهج التأليف مثَّل حضورا قويًّا في مقدِّمات الكتب في التراث الإسلامي؛ ولمَ لا؟ وهو دستور المبدع في تنظيم موضوعات الكتاب، وفي الوقت نفسه هو الذي يضيء سبيل المتلقي

(١) الصغاني، العباب الزاخر، 1/11–12.
(٢) يُنْظَر: الزَّبيدي، تاج العروس، 1/10.
(٣) من الآية (181) من سورة البقرة.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، 1/8.
(٥) عبد الرازق بلال، مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدِّمات النقد العربي القديم، ص 52.
(٦) يُنْظَر: عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص 117-118.

في تتبع مواد الكتاب واستقرائها؛ لأن المتلقي يقرأ "أول الكتاب؛ ليكشف **مِنْهُ ترتيبه** وغرض مُصَنِّفه، وَقد لا يتهيأ للمُطَالِع أن يَكْشف آخِره"(١).

ولقد أخذ أصحاب المعجمات التراثية على أنفسهم أن يعبِّدوا الدرب أمام المتلقين للدخول في عوالم نصوصهم وفضاءاتها الرحبة من خلال حديثهم عن هذا المكون الأساس الذي لم تخل منه مقدِّمة من مقدِّمات المعجمات التراثية(٢) مناط الدرس.

فهذا هو البندنيجي يحدِّثنا عن معالم منهجه في جمع الألفاظ وترتيبها قائلا: "ونظرنا في نهاية الكلام فجمعنا إلى كل كلمة ما يشاكلها، ما نهايتها كنهاية الأول قبلها من حروف الثمانية والعشرين، ثم جعل ذلك أبوابًا على عدد الحروف، فإذا جاءت الكلمة مما يحتاج إلى معرفتها من الكتاب نظرت إلى آخرها ما هو من هذه الحروف؟ فطلبته في ذلك الباب الذي منه فإنه يسهل معرفتها إن شاء الله"(٣).

ولم يكتف البندنيجي ببسط معالم منهجه في الجمع والترتيب، بل يرافع عن هذا الترتيب الذي ارتضاه لمعجمه؛ لأنه لو جَمَعَ ذلك على غير تأليف متناسق، ثم جاءت كلمة غريبة يحتاج الرجل إلى معرفتها لصَعُب عليه إدراكها لسعة الكلام وكثرته، لذا آثر هذه الطريقة في التأليف؛ ليسهل على الناظر فيما يحتاج إلى معرفته(٤).

ثم نلتقي بابن دُرَيْد الذي عدل عن منهج الخليل في العين؛ حيث استشعر الصعوبة الشديدة التي واجهها المستعمل/المتلقي في عصره لمعجم العين نظرا لمنهج التقليب الصوتي الذي ابتدعه

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، 9/1.

(٢) يستثنى من هذه المقدِّمات مقدِّمة "التكملة والذيل والصلة" للصغاني، فلم يكن حديث المنهج لديه في المقدِّمة كما صنع السابقون عليه واللاحقون به في الصناعة المعجمية، بل كان هذا الحديث في خاتمة المعجم كما أشار بذلك الأستاذ عبد الحميد حسن الذي كتب تقديم الطبعة المحققة. بيد أني لم أقف على هذه الخاتمة في الجزء الأخير من الكتاب.

(٣) البندنيجي، التقفية، 37/1.

(٤) يُنْظَر: المصدر السابق، 36/1، بتصرف يسير.

الخليل؛ ولذا رأى أن يستخدم طريقة مغايرة هي طريقة التقليب الهجائي، التي نافح عن إيثاره لها؛ لأنها "بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامَّة بها كعِلْم الخاصَّة، وطالِبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة مشفيا على المُرَاد"(١). ثم شرع بعد ذلك في الحديث عن تنظيم أبواب الجمهرة وترتيبها(٢).

أما ابن فارس في مقاييسه فكان حديثه عن منهجه مجملا، ورغم ذلك فإن المتلقي يدرك أن ابن فارس سلك مسلكا لتحقيق غرضه الأساس من التأليف، وهو الكشف عن المقاييس أو الأصول في جميع صيغ المادة الواحدة؛ لذا فقد أدار على هذه الأصول علاج المواد اللغوية، فقدَّم الأصل الذي أخِذَت منه معاني المشتقات، ثم يشرح هذه الأصول بما يفسره من صيغ. وسلوك هذا المنهج في التصنيف في رأي ابن فارس يكشف عن مزيد من سمات اللغة العربية، وفي الوقت نفسه يفيد من يرتاد بعده هذا الميدان، وقد نبَّه ابن فارس على ذلك في مقدِّمته فقال: "وقد صدَّرنا كلَّ فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله؛ حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يُسْأل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه"(٣).

ونختم شواهدنا بابن سيده الذي عمل على توضيح الصورة التي استشرفها أنموذجا لمعجمه، فأعطى القارئ الأطر العامة لمنهجه في قوله: "إن كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لا يفصل بينهما غريب، ولا أجنبي بعيد، ولا قريب، مهذَّب الفصول، مرتَّب الفروع بعد الأصول، وَمَنْ شَافَه عِلْمًا من عِلْم الضَّرُورة، لم يألُ في التحفُّظ بتقديم المادَّة على الصُّورة"(٤). ثم فصَّل القول في منهجه الذي أراد تطبيقه على مواد معجمه، إذ أخذ حديث المنهج لديه ما يقارب من تسع صفحات من المطبوع(٥).

(١) ابن دُرَيد، جمهرة اللغة، 40/1.
(٢) يُنْظَر: المصدر السابق، 40/1-41.
(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/1.
(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 37/1.
(٥) المصدر السابق، 39/1-47.

إن ما سبق غيض من فيض الشواهد على حرص أصحاب المعجمات التراثية واهتمامهم بعرض هذا المكون في مقدماتهم، ومن هذه الأمثلة وغيرها[1] نخلص إلى:

– أن الغرض التأليفي الذي يرمي المبدع إلى إصابته هو الذي يحدد منهجه التأليفي، ويرسم معالم الطريق له.

– لم يكن المعجميون في مقدِّماتهم على ديدن واحد في حديث المنهج، فمنهم من أسهب القول فيه، ومنهم من أوجز واختصر.

7- تقريظ الكتاب:

من المكونات التي حرص المؤلفون العرب على تضمينها في مقدِّماتهم الحديث عن أهمية الكتاب وإظهار قيمته وبيان مزاياه ومحاسنه؛ وذلك لإقناع المتلقي واستمالته إلى قراءة هذا العمل. وقد توسَّل المبدع لتحقيق هذا الغرض من هذا المكون في مقدِّماتهم من خلال وسيلتين:

أ- الثناء على المؤلَّف:

من السبل التي سلكها المؤلفون القدماء في تقريظ ما سطَّرته أيديهم الثناء على مؤلفاتهم بعبارات صريحة دارت في فلك معاني الجدَّة والسَّبق والإحاطة والشمول ودقة المنهج، والشواهد على ذلك

(١) يُنْظَر: الفارابي، ديوان الأدب، 73/1-75، والأزهري، تهذيب اللغة، 40/1-43، والجوهري، الصحاح، 33/1، وابن فارس، مجمل اللغة، 76/1، والزمخشري، أساس البلاغة، 15/1-16، ونشوان الحميري، شمس العلوم، 36/1-41، والصغاني، العباب الزاخر، 1/1-2، والرازي، مختار الصحاح، 5/1-7، وابن منظور، لسان العرب، 8/1-9، والفيومي، المصباح المنير، ص (م – ن)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 25/1-26، والزَّبيدي، تاج العروس، 9/1، 10، والتكملة والذيل والصلة، 71/1-72.

كثيرة[١]، فالفارابي يفخر بمؤلفه ويزهو بمنهجه فقال: "عملتُ فيه عمل من طَبَّ لمن حَبَّ، مُشْتَمِلًا على تأليف لم أُسْبَق إليه، وسابقا بتصنيف لم أُزَاحم عليه"[٢].

أما الزمخشري فقد مدح كتابه بقوله: "وهو كتاب لم تزل نَعَامُ القلوب إليه زَفَّافَة، ورياح الآمال حوله هَفَّافَة، وعيون الأفاضل نحوه رَوَامِق، وألسنتهم بتمنِّيه نَوَاطِق"[٣]، ثم شرع في الحديث عمَّا انماز به الكتاب خصائصه[٤].

وعلى غرار من سبقه عمد ابن سيده في غير موضع من مقدمته إلى الثناء على مصنَّفه وإظهار شأنه، بل إنه بالغ في الثناء والفخر، من ذلك قوله: "فَإِنَّ كتَابنَا هذا مدعاة للنفوس الشاردة، مذكاة للقلوب الهامدة، مَعْلَقَة بفؤاد المتفهِّم، مَأْنَقَة لعين النَّاظر المتوسِّم، رَوْضٌ مَا أزهى أزاهيرَه، وأَبْهَى فِي عُيُون الأفاهيم أشاهيرَه"[٥]، وقوله: "فربَّ سَطْرٍ من كتابي يغترف من كتب اللغة في الخط سُطُورا، فإذا حُصِّل جَوْهَر الكلام، عَادَتْ أَبْوَابهم لأبوابي شُطُورا"[٦]، وقوله: "وأنت أيها النَّدْب الْفَهِم، والشَّهْم النَّهِم، إذا توغَّلتَ في كتابنا هذا، بدا لك من أنواع الإجادة، مثل ما ذكرتُ لك من التَّمْثِيل أَو ضِعْفُه"[٧].

(١) يُنْظَر مثالا لا حصرا: الأزهري، تهذيب اللغة، 1/5-6، والجوهري، الصحاح، 1/33، وابن فارس، مجمل اللغة، 1/75-76، والصغاني، العباب الزاخر،1/11، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، 1/26، 28، والزَّبيدي، تاج العروس، 1/9-10.

(٢) الفارابي، ديوان الأدب، 1/72-73.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، 1/15.

(٤) يُنْظَر: المصدر السابق، 1/15-16.

(٥) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 1/37.

(٦) المصدر السابق، 1/37-38.

(٧) المصدر السابق، 1/46.

أما لسان العرب عند صاحبه فهو "الكتاب المُبَارك، الذي لا يُسَاهَم في سَعَة فضله ولا يُشَارَك"(١)، وهو "بحَمْد الله وَاضح المنْهَج، سهل السلوك، آمنا بمِنَّة الله من أن يُصْبِحَ مِثْلَ غَيْرِهِ وهو مطروح مَتْرُوك. عَظُم نَفْعُه بما اشْتَمَل من العلوم عليه، وغَنِيَ بما فيه عن غيره، وافتقر غيرُه إليه، وجَمَعَ مِنَ اللُّغَات والشواهد والأدلَّة مَا لَمْ يَجْمَعْ مِثْلُهُ مِثْلَهُ ... فجَاءَ بِحَمْد الله وَفْق البُغْيَة وَفَوق المُنْيَة، بَدِيع الإتْقَان، صَحِيح الأركان، سليما من لَفْظَة "لَو كَانَ" ...والناقل عنهُ يمُدُّ بَاعَه وَيُطْلِق لِسَانَه، ويَتَنَوَّع في نَقْلِهِ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ ينْقُلُ عَن خِزَانَة"(٢).

ولم يقتصر مدح المؤلِّف كتابه على الأسلوب النثري، بل من المعجميين من مدح كتابه شعرا، مثل نشوان الحميري الذي مدح "شمس العلوم" بقوله(٣):

كِتَـابٌ يَمَـانٍ يَجْمَـعُ ٱلعِلْـمَ كُلَّـهُ ... ويَعْجَـزُ عَـنْ مِثْـلٍ لَـهُ ٱلـثَّقَلانِ

وقوله(٤):

هـذَا ٱلكِتَـابُ لِكُـلِّ عِلْـمٍ جَـامِعٌ ... ولَـهُ مَحَـلٌّ فـي ٱلعُلُـومِ مُنِيـفُ
الـنَّقْطُ وٱلحَرَكَـاتُ وٱلـشَّيْخُ الَّـذِي ... تُقْـرَا عَلَيْـهِ فُـصوُلُهُ ٱلتَّـصْنِيفُ
فـإِذَا ٱهْتَـدَيْتَ بِـهِ هَـدَاكَ فإِنَّـهُ ... مِيـزَانُ عَـدْلٍ لَـيْسَ عَنْـهُ يَحِيـفُ
وإِذا ٱكْتَفَيْـتَ بِـهِ كَفَـاكَ ولـم يَجِـدْ ... سَـبَبًا إِلَيْـكَ ٱللَّحْـنُ وٱلتَّـصْحِيفُ

وقال أيضًا(٥):

فـي صَحِيحِ ٱلتَّأْلِيفِ تَصْحِيحُ ما قَدْ ... صَـحَّفَتْهُ ٱلقُـرَّاءُ وٱلكُتَّـابُ
فـي كِتَـابٍ للـنَّقْطِ وٱلـشَّكْلِ أَضْـحَى ... حَارِسًـا مَـا بِـهِ يُقَـاسُ كِتَـابُ

(١) ابن منظور، لسان العرب، 7/1.
(٢) المصدر السابق 8/1.
(3) نشوان الحميري، شمس العلوم، 35/1.
(4) نشوان الحميري، شمس العلوم، 36/1.
(5) المصدر السابق، 36/1.

ب- اختيار العنوان:

تناولنا في عنصر مستقل الحديث عن العنوان وعلَّة اختياره، ولاحظنا أن ثمة مؤلفين يعمدون إلى تقريظ ما صنفوه من مؤلفات وبيان منزلتها وقيمتها من خلال اختيار عنوان يزينون به جِيدَ هذا المصنف أو ذاك، فسبك العنوان وصوغه يشي بأن صناعة العناوين لم تك صناعة مرتجلة بل هي صناعة مهر فيها علماؤنا القدامى بما تنطوي عليه من جهد وتفكير ومشقة.

وهذه الصناعة تنطوي أيضا على دلالة خفية وهي رغبة المؤلفين في التأثير في المتلقين وحثهم على قراءة مصنفاتهم واقتنائها، فتدبَّر معي عنوانات مثل: "جمهرة اللغة"، و"ديوان الأدب"، و"تهذيب اللغة"، و"تاج اللغة وصحاح العربية"، و"مجمل اللغة"، و"المحكم والمحيط الأعظم"، و"أساس البلاغة"، و"شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم"، و"العباب الزاخر واللباب الفاخر"، و"لسان العرب"، و"المصباح المنير"، و"القاموس المحيط"، و"تاج العروس من جواهر القاموس" ... إلى آخر هذه العنوانات التي تخلع الوظيفة الإشهارية على المصنَّف، ولا يخفى على كل ذي لب ومعرفة ما في هذه العنوانات من ظلال التفخيم ومظاهر التبجيل والتعظيم.

البنية الثالثة- بنية الخاتمة:

هي اللبنة المتممة معمارية المقدِّمة المعجميَّة، وقد تمثَّلت في الاختتام بمناجاة الله ﷻ، ولا غرو في هذا؛ لأن النفوس التي تتشوق إلى التوجُّه إلى الذات الإلهية في مستهل خطابها هي النفوس ذاتها التي تركن إليه وتسأله القبول والسَّداد في خواتيمه.

فالمبدع الذي افتتح خطابه المعجمي بالبَسْمَلَة والحَمْدَلَة والصَّلاة والسَّلام على أشرف من نطق بلغة الضاد – كما ألفينا في بنية الاستهلال – أصبح لزاما عليه أن يذيِّل ويختتم خطابه بمناجاة ربِّه الذي وفَّقه وأعانه على إتمام مراده ومقصده من التأليف.

وعلى الرغم من أن الدعاء كان – في الغالب – القالب الذي تشكَّلت فيه بنية الخاتمة إلَّا أن هذا القالب قد تباين شكلا ومضمونا. فمن حيث الشكل وجدنا من أصحاب المعجمات التراثية من اتَّسم دعاؤه بالإيجاز والاختصار، نحو الجوهري الذي ذيَّل مقدِّمته المعجمية الموجزة بقوله: "نفعنا

الله وإياكم به"[١]، ونحو قول الفيومي في خاتمة مقدِّمة المصباح: "والله تعالى أسأل أن ينفع به إنَّه خير مأمول"[٢].

ومن المعجميين من بسط القول في الدعاء، مثل قول الصغاني في خاتمة مقدِّمة العباب: "وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه، ومقرّبا من رحمته، فقد فسَّرت عدة آيات من كتاب الله تعالى، وقطعة صالحة من غرائب أحاديث رسول الله ﷺ وأحاديث الصحابة، [و][٣] التَّابعين، رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين. وأرجو من عميم فضله أن يسيِّر هذا الكتاب في الأفاق، ويَهُبّ عليه قبول القبول، ويعصم من الزلل والخلل والخطأ والخطل، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير"[٤].

أما على مستوى المضمون فقد اتسمت مناجاة مؤلفي المعجمات بالثراء والتنوع، فهذا صاحب التهذيب يذيِّل مقدمته الضافية بسؤال الله أن يزيِّنه بلباس التقوى والصدق في القول، وأن يجنبه العُجْب ودواعيه، ويسأله العون والتوفيق في تحقيق ما قصد وأراد، يقول الأزهري: "وأسأل الله ذا الحول والقوَّة أن يزيِّننا بلباس التَّقوى وصدق اللسان، وأن يُعيذنا من العُجْب ودواعيه، ويعيننا على ما نويناه وتوخيناه؛ ويجعلنا مِمَّن توكَّل عليه فكفاه. وحسبُنا هو ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، عليه نتوكَّل وإليه ننيب"[٥].

وسلك ابن منظور صاحب اللسان مسلكا آخر في المناجاة إذ يرجو ربه العليّ المنَّان أن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم، وأن يرفع قدر كتابه وينفع به في الدَّارين، يقول ابن منظور: "وأرجو من كرم الله تعالى أن يرفع قَدْر هذا الكتاب وينفع بعلومه الزاخرة، ويصل النفع به بتناقل العلماء له

(١) الجوهري، الصحاح، 33/1.
(٢) الفيومي، المصباح المنير، ص (ن).
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوع.
(٤) الصغاني، العباب الزاخر، 20/1.
(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، 54/1.

في الدنيا وبنطق أهل الجَنَّة به في الآخرة؛ وأن يكون من الثَّلاث التي يَنْقَطِع عمل ابن آدم إذا مات إلَّا منها[١]، وأن أنال به الدرجات بعد الوفاة بانتفاع كلِّ من عَمِلَ بعلومه أو نقل عنها؛ وأن يجعل تأليفه خالصا لوجهه الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل"[٢].

في حين نجد الفيروزآبادي يسأل الله ﷻ أن يثيبه على عمله "جميل الذِّكْرِ في الدنيا، وجزيل الأجر في الآخرة"[٣].

ومن المعجميين من قرن المناجاة بالصِّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد، على نحو ما صنعه الزَّبيدي الذي ختم مقدِّمة تاجه بقوله: "وأرجو من الله تعالى أَن يرفع قدر هذا الشَّرْح بمَنِّه وفَضْله، وأن ينفع به كما نفع بأصلِه، وأنا أبرأ إلى الله ﷻ من القُوَّة والحَوْل، وإياه أَستغفر من الزَّلل في العمل والقول، لا إِلَه غيره، ولا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُه، وصلَّى الله على سَيِّدنا محمدٍ وَآله وصحبِه وسَلَّم تَسْلِيمًا كثيرا"[٤].

ومنهم من أعرض الصفح عن بنية الخاتمة في مقدِّمته كصاحب التقفية، وابن فارس الذي اكتفى بقوله: "فأول ذلك" في خاتمة مقدِّمة المقاييس[٥]، و"فأوله" في خاتمة مقدِّمة المجمل[٦].

---

(١) إشارة إلى ما رواه أبو هُرَيْرَةَ عن رسول اللهِ ﷺ أنه قال: "إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". يُنْظر: صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب ما يَلْحَقُ الإنسانَ من الثواب بعد وفاته، 770/2، حديث رقْم (1631).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، 9/1.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 28/1.

(٤) الزَّبيدي، تاج العروس، 11/1. كذا ينظر: الزَّبيدي، والتكملة والذيل والصلة، 72/1.

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، 5/1.

(٦) ابن فارس، مجمل اللغة، 70/1.

خاتمة البحث

كان الحديث في الصَّفحات السَّابقة عن "بنية المقدِّمة في المعجمات اللفظية التراثية قراءة تحليلية"، وذلك من خلال محورين، الأول منهما يتناول تعريف المقدمة لغة واصطلاحا، والآخر يميط النِّقاب عن معمارية المقدِّمة المعجميَّة، وحسبي هاهنا أن أشير إلى أهم ما توصلتُ إليه من نتائج:

- أدرك أصحاب المعجمات اللفظية التراثية أهمية المقدمة في بناء مدوناتهم اللغوية؛ فهي العتبة القرائية الدالة التي يعبر من خلالها المتلقي إلى النص؛ ومن ثم فهي جزأ لا يتجزأ عنه.

- حوت المقدِّمة المعجميَّة أطروحات وأفكارا متنوعة؛ حتى لا يلحق المتلقي/القارئ السأم والضجر من فكرة لا ثان لها؛ ومن ثم يظل في نشاط عقلي لاستقبال هذه الأفكار المتنوعة التي تضيف إلى رصيده المعرفي.

- مثَّلت عناصر بنية الاستهلال: البَسْمَلَة، والحَمْدَلَة، والصَّلاة على النَّبي، واسم المؤلِّف، وفصل الخطاب أثر النزعة الدينية في معمارية المقدِّمة المعجميَّة؛ إذ ظهر للعِيَان تأسِّي أصحاب هذه المعجمات في خطابهم بأسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية القوليَّة والفعليَّة.

- حرص مؤلفو المعجمات في مقدِّماتهم على إثبات حقوق الإبداع الفكري لأعمالهم من خلال التصريح بأسمائهم أو ذكر عناوين بعض مؤلفاتهم الأخرى. كما أن هذا التصريح يعكس رغبة المؤلِّف النفسية في أن يُشْتَهَر اسمه ويعلو ذكره كلما شرَّق كتابه وغرَّب.

– إن وقوف المتلقي/القارئ على اسم المؤلِّف يمكِّنه من استدعاء مخزونه المعرفي عن السمات الأسلوبية والفكرية والعقدية لهذا المؤلِّف أو ذاك، والتي ستلقي بظلالها على إنتاجية النص.

– إن تآلف عناصر بنية الاستهلال التي رصدها الباحث تشاكل ما عُرِف في الدرس البلاغي بحُسْن الابتداء، وهو أحد مواضع ثلاثة ينبغي لمبدع النص التأنق فيها؛ لأن الابتداء يمثل لحظة الاستهواء والاستمالة للمتلقي.

- لبنية الموضوع وعناصرها أهمية بالغة في معمارية المقدِّمة المعجميَّة؛ فهي نقطة التواصل والتحاور بين مبدع النص ومتلقيه؛ وفيها يأخذ المبدع بيد القارئ كاشفا له مكنونات العمل الإبداعي وجواهره.

– إن التنوع في الغايات ومقاصد التأليف المنثورة في المقدِّمة المعجميَّة لشاهد على ثراء الفكر اللغوي عند علمائنا العرب القدامى، إذ كان لكل واحد منهم مقصد يهدف إلى تحقيقه من خلال مصنَّفه؛ ومن ثم فليست المعجمات العربية ذات مقصد واحد يتمثل في جمع الألفاظ اللغوية وبيان معانيها، بل كان لكل معجم منها غاية تخدم جانبا من اللغة من وجهة نظر المؤلِّف.

- إن استقراء عنوانات المعجمات في ضوء مقدِّماتها يكشف أن اختيار اسم هذا المعجم أو ذاك لم يكن خبط عشواء أو اعتباطيا، بل هو اختيار مبني على رؤية واضحة وهدف محدد ومنهجية واعية حرص المبدع على طرحها في مقدِّمة معجمه.

- حرص الروَّاد المعجميون على كشف كنه عنوان مؤلفاتهم في خطاب مقدِّماتهم وبيان العلة في اختيار هذا العنوان دون غيره؛ ليكون المتلقي على وعي بما يقرأ؛ ولذا كان التنافس بين هؤلاء الروَّاد دافعا وراء الكشف عن العلة التي دفعتهم لاختيار هذا العنوان دون غيره.

– مثَّلت المقدِّمة المعجميَّة مساحة نقدية تناول فيها المؤلِّف الأعمال ذات الصلة بموضوعه، وقد اتخذ هذا النقد مسارين، الأول: نقد إجمالي مع الاعتراف بفضل السابق وريادته، أما الآخر فنقد لاذع صريح غرضه إظهار هفوات الأعمال السابقة وزلاتها.

– هدف المؤلِّف من نقد الأعمال ذات الصلة بموضوعه إلى توصيل رسالة إلى المتلقي مفادها: إن عملي الذي أطرحه عليك هاهنا يتمايز عمَّا سبقه من أعمال، فقد جاء ليسد رتقها، ويصلح خللها، ويصحح خطأها وزللها، ويتجاوز هفواتها وسقطاتها، ويتدارك ما لحق بها من إهمال أو تفريط، وهذا هو الجديد الذي تكفَّل به عملي.

– من المعجميين مَنْ سعى إلى مصادرة الانتقادات التي قد توجَّه مُسْتَقْبَلا إلى عمله، وذلك من خلال وسيلتين، الأولى: تقديم الاعتذار المسبق إلى جمهور القُرَّاء والمتلقين إن هاجموا عمله أو

انتقصوا قدره؛ لأن عمله عمل بشري يعتريه الصواب والخطأ. أما الوسيلة الأخرى فتمثلت في التخلص من الأخطاء والزلَّات الموجودة بالكتاب بحِوَالتها إلى أصحابها الذين عنهم أَخَذَ ومن دفاترهم نَقَل.

– الغرض التأليفي الذي يرمي المبدع إلى إصابته هو الذي يحدد منهجه التأليفي، ويرسم معالم الطريق له.

– لم يكن المعجميون في مقدِّماتهم على ديدن واحد في حديث المنهج، فمنهم من أسهب القول فيه، ومنهم من أوجز واختصر.

– من المكونات التي حرص المؤلفون العرب على تضمينها في مقدِّماتهم الحديث عن أهمية الكتاب وإظهار قيمته وبيان مزاياه ومحاسنه؛ وذلك لإقناع المتلقي واستمالته إلى قراءة هذا العمل. وقد توسَّل المبدع لتحقيق هذا الغرض خلال **الثناء على مؤلَّفه** بعبارات صريحة دارت في فلك معاني الجدَّة والسَّبق والإحاطة والشمول ودقة المنهج، **واختيار العنوان** الذي يزينون به جِيدَ هذا المصنف أو ذاك.

– على الرغم من أن الدعاء كان القالب الذي تشكَّلت فيه بنية الخاتمة إلَّا أن هذا القالب قد تباين شكلا ومضمونا، فمن حيث الشكل وجدنا من أصحاب المعجمات التراثية من اتَّسم دعاؤه بالإيجاز والاختصار، ومنهم من بسط القول في الدعاء، أما على مستوى المضمون فقد اتسمت مناجاة مؤلفي المعجمات بالثراء والتنوع.

مصادر البحث ومراجعه

- **أحمد زكي صفوت:**

(1) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1352هـ = 1933م.

(2) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1356هـ = 1937م.

- **أحمد مختار عمر (دكتور):**

(3) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ = 2008م.

- **الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد:**

(5) تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1384هـ = 1964م.

- **إسماعيل بن غنيم الجوهري:**

(6) إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد، تحقيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1432هـ = 2011م.

- **الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود:**

(7) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1404هـ.

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:**

(8) صحيح البخاري = الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرين، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ.

- **البندنيجي، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان:**

(9) التقفية في اللغة، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، 1976م.

- **التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر:**

(10) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1434هـ = 2013م.

- **التهانوي، محمد علي الفاروقي:**

(11) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق الدكتور علي دحروج وآخرين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

- **الجرجاني، علي بن محمد بن علي:**

(12) التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2004م.

- **الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي:**

(13) أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1412هـ = 1992م.

- **الجوهري، إسماعيل بن حماد:**

(14) الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ = 1984م.

- **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله:**

(15) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1941م.

- **حسين نصار (دكتور):**

(16) المعجم العربي نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، ط4، 1988م.

- **الحطاب، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المغربي:**

(17) مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، دار الرضوان للنشر، نواكشوط، موريتانيا، ط1، 1431هـ = 2010م.

- **أبو حيان التوحيدي، محمد بن يوسف:**

(18) تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ = 1993م.

- **الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر:**

(19) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1419هـ = 1999م.

(20) التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1904م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:**

(21) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر = تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1421هـ = 2001م.

- **الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن:**

(22) العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1408هـ = 1988م.

- **الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف:**

(23) مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1409هـ = 1989م.

- **ابن دُرَيد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن:**

(24) جمهرة اللغة، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

- **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:**

(25) مختار الصحاح، تدقيق عصام فارس الحرستاني، دار عمار، الأردن، ط5، 1425هـ = 2005م.

- **الزَّبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني:**

(26) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، (16)، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ = 1965م – 1422هـ = 2001م.

(27) التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، تحقيق مصطفى حجازي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1406هـ = 1986م.

- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:**

(28) أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ = 1998م.

(29) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ = 1998م.

- **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل:**

(30) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ = 2000م.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:**

(31) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة ط1، 1424هـ = 2004م.

- **شعيب حليفي:**

(32) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل "دراسات في الرواية العربية"، محاكاة للدراسات والنشر، والشركة الجزائرية السورية للنشر، دمشق/الجزائر، ط1، 2013م.

- **الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن:**

(33) التكملة والذيل والصلة، تحقيق عبد العليم الطحاوي وآخرين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م – 1979م.

(34) العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الهمزة)، تحقيق الدكتور ڤير محمد حسن، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ط1، 1398هـ = 1978م.

- **ضياء الدين بن الأثير:**

(35) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:**

(36) جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ = 2001م.

- **عبد الحق بلعابد:**

(37) عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1429هـ = 2008م.

(38) قصد رفع القلق عن المصطلح النقدي، مقال منشور في مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، المجلد الخامس عشر، الجزء الثامن والخمسون، ذو القعدة 1426هـ = ديسمبر 2005م.

- **عبد الرازق بلال:**

(39) مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.

- **عبد الفتاح الحجمري:**

(40) عتبات النص: البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996م.

- **عبد القادر بن عمر البغدادي:**

(41) خِزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ = 1997م.

- **عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري:**

(42) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقَّب بدستور العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ = 2000م.

- **الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم:**

(43) ديوان الأدب، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط1، 1394هـ = 1974م.

- **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:**

(44) مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ = 1986م.

(45) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1399هـ = 1979م.

- **الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:**

(46) القاموس المحيط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ = 2005م.

- **الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المُقْرِي:**

(47) المصباح المنير في غرب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.

- **القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر:**

(48) الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمَّنه من السنَّة وآي القرآن، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ = 2006م.

- **القلقشندي، أبو العباس أحمد:**

(49) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ = 1922م.

- **الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني:**

(50) الكليات، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1419هـ = 1998م.

- **مجدي وهبة، وكامل المهندس:**

(51) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

- **محمد التونجي (دكتور):**

(52) المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ = 1999م.

- **محمد العمري (دكتور):**

(53) في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2000م.

- **محمد فؤاد عبد الباقي:**

(54) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364هـ.

- **مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري:**

(55) صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العَدْل عن العَدْل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1427هـ = 2006م.

- **المناوي، زين الدين محمد عبد الرءوف:**

(56) التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ = 1990م.

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**

(57) لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، ط1، 1374هـ = 1955م، 1412هـ = 1992م.

- **نجيب صليبا (دكتور):**

(58) المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م.

- **نشوان بن سعيد الحميري:**

(59) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق الدكتور حسين عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط1، 1420هـ = 1999م.

- **النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف:**

(60) الأذكار النووية = حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الملاح للطباعة والنشر، 1391هـ = 1971م.

(61) بستان العارفين، تحقيق محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط6، 1427هـ = 2006م.

- **أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل:**

(62) الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1371هـ = 1952م.